تمهيد :

يركن الغماري إلى مرجعية إسلامية بحتة حيث طغت على معظم قصائده النبرة الدينية حتى لا تكاد تخلو من الرمز الديني الذي استوحاه من القرآن الكريم .

كما نجده تشبثا بالرسالة الإسلامية إلى حد العشق ، وهذا ما أعطاه بعدا صوفيا ، فالصوفية في أصلها ثورة وتمرد ورغبة جامحة في التغيير .

1- الرمز الديني :

إلى جانب توظيف التراث الأسطوري والتاريخي حاول الشعراء في هذا الاتجاه" توظيف الرمز الديني أيضا الذي نعني به القران الكريم ، هذا الذي يعد اللبنة الأولى الزاخرة الغنية بالدلالات الإنسانية والفنية"[1] .

"ولا يجب الخلط بين التراث الإسلامي والثقافي الدينية ، لأن هذه الأخيرة لا تلعب ما يلعبه التراث الإسلامي الذي ارتقى إلى مستوى الشمولية وبات جزء من التراث الإنساني ، فالثقافة معرفة"[2] .

ويدخل قصص الأنبياء المستمد من القران الكريم في هذا الإطار الذي كان يضفي على الصورة الشعرية طابعا من الحيوية والأصالة ، لأن هذا القصص الخالد في ذاكرة الأمة العربية والإسلامية ما يزال حيا نابضا محتفظا بحرارته على أن هذا الاستخدام ليس جديدا على الشعر الجزائري ، وهذا ما نلاحظه على شاعر الجهاد الإسلامي مصطفى محمد الغماري بقوله وفعله وانتمائه ، فهو شاعر الجهاد لأنه دائب الثورة ...دائب الكفاح لا يهدأ ولا يستريح وإنتاجه دليل على ذلك .

وهو شاعر الرفض الإسلامي ...لأنه يرفض كل لصيقة بالإسلام و رافض لكل سياسة كيفما كانت ...غير سياسة الإسلام ، فهو بلا تردد ولا تحرج ولا حساب يطول أو يقصر "شاعر الجهاد الإسلامي "[3].

ويغلب في شعر الغماري الرامز الديني وهذا ما نجده في العديد من قصائده وذلك راجع لمعتقده الإسلامي حيث يقول :

وجزائر الألم المجاهد لم تزل تلد الجهاد

لما تزال ترويك يا تاريخنا سبعا شدادا ....

---

[1]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته و خصائصه الفنية) ، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، مشق ، 1985 ، ص 584 -585.
[2]- حنا عبود : القصيدة والجسد ، مدخل إلى نقد الشعر ، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ط1 ، دمشق ، 1988 ، ص 228.
[3]- يحياوي الطاهر : البعد الفني و الفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري ، 1983 ، ص 142-143.

هما بذاكرة الدروب السمر بكرا ...لا معادا

كتابة سفرا ...

وكان حضوره في الدرب زادا ...[1]

تحمل هذه الأبيات في سياقها – " سبعا شديدا " – التي ترمي إلى بعد أسطوري غيبي وكوني شمولي للثورة التحريرية وأضفى عليها طابع القداسة وسحر الخلود ، فنجدها تتقاطع مع القران الكريم في صفات القوة و التعالي والعظمة التي وصف الله تعالى بها معجزة خلقه للسماوات ، قال تعالى " وجعلنا فوقهم سبعا شدادا "[2]، فهي ترسم رؤية نضالية و نظرة استشراقية للمستقبل عن طريق التضحية ، وترجع بنا هذه الدلالة – سبعا شدادا – إلى القصص القرآني في سورة يوسف عليه السلام ، قال تعالى : " قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون (47) ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون (48) ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس و فيه يعصرون (49)[3] . صدق الله العظيم . فكانت رؤيا يوسف الصديق – عليه السلام – نفسها التي شكلت محور السورة و محور التغيير في حياته و في حياة شعب مصر كله .

و في سياق الخطيئة و العقاب يستدعي الغماري شخصية – أشقى ثمود – في :

يا جرحنا القدسي ......

و الناعون أشباح ودود

آسى لكبرك أن يتاجر ، باسمه ، " أشقى ثمود "

كان " البديل " مغلبا ....

نزجيه زوبعة كنود .....

1- مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ص 187.

2- سورة النبأ : الآية 12.

3- سورة يوسف : الآية (47- 49)

إني أرى خلف السحاب البرق يعصف و الرعود

يا ويل ما باعوا الشهيد

و ويح من ألفوا القعود

يا جرحنا القدسي .....

لا أمت هوانا .....

لا ارتياب .....[1]

فيعرض الغماري هنا مأساة فلسطين و ضياع القدس من يد العرب حيث خيم عليهم الصمت و السكون و لم يبق إلا صوت الأشباح (اليهود) .

و في ظل هذه الخطيئة نجد كذلك شخصية من شخصيات القصص القرآني (قابيل ، هابيل ، آدم) عليهم السلام ، وظفها الغماري فيقول :

يا حادي الألم المسحور في دمنا

هل رعشة الآه بعض من خطايانا

يمتصنا الحقد ... " قابيل " على يده

دم " لهابيل " ... جل الجرح أحزانا

وما لآدم من سمع ومن بصر

لو شاهد الجرح ... ضم الجرح أجفانا

قابيل في الحمأة الزرقاء .... تعصره

طينا ... ويشرب هذا الطين أشقانا [2]

[1]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 180.
[2]- المصدر نفسه: ص 181.

من خلال هذه الأبيات نجد الغماري لا يقصد التذكير بالقصة المعروفة في القرآن الكريم قتل قابيل لهابيل التي تعتبر أول جريمة على وجه الأرض ، وإنما يود أن يرشدنا إلى أن الخطأ لا زال متكررا عبر التاريخ ، وهذا الأخير يعيد نفسه ولكن بوجوه خفية .

بالإضافة إلى ذلك وظف الغماري " الخضر " – عليه السلام – ليبرز معاناته و تغلبه على الغربة فيقول :

ها عدت .... من عين الحياة شرابي

قد كان .... و الزمن المحيط ركابي

ها عدت .... تزرعني الحياة زنابقا

و تظل تعصر من دمي و إهابي [1]

و يعتمد الغماري على شخصية الخضر – عليه السلام – ليسقط عليه تجربته بكل ثقلها ، فهو يرسم لنا صورة معاصرة لعودة الخضر بحيث تبدأ بإعلان فعل العودة (ها عدت) الذي يتضمن الإياب و التغلب على الغربة و يلبسه أبعاد الخلود بالشرب من مصدر الحياة (العين) ، هذه الأبعاد هي حلم مصطفى محمد الغماري في كسر الجمود و الثبات الذي كسى الحياة من حوله ، فالغماري يتجدد باستمرار كلما تجدد الزمن (الزمن ركابي) (تزرعني الحياة زنابقا) ، (و تظل تعصر من دمي) ، يقول :

ها عدت يا مسرى الكليم و مجتلي

الهادي .... إليك يهزني الإكبار

يا وجهي المحزون .... لذت بوحدتي .

و ربابتي ... ظمئت بها الأوتار

[1]- مصطفى محمد الغماري : مرجع سابق، ص 35.

أيموت حبي ؟ آه تلك خرافة

نسجت .... ورجم بالظنون ... يثار [1]

يذكر الشاعر (الوادي المقدس) مكان تجلي الذات الإلهية ، وقربى " موسى " – عليه السلام – من ربه وكلمته التي خصه بها ، لينقل لنا مقدار شوقه للقرب من الذات الإلهية التي يستمد منها القدرة على التغيير و إصلاح مشكلات و أخطاء واقعه ، و تنتهي القصيدة بنهاية رحلة البحث و العودة ، حيث يجد الشاعر " الخضر " ذاته و يدرك رسالته و قيمة وجوده ، فيقول :

أنا في الوجود قصيدة ... ما غردت

بسوى السلام حروفها الخضراء

أنا في الوجود .... ملامحي و رجولتي

و دمي و كبري للسلام فداء

الله ملء دمي سرت كلماته

و الله في شفتي منه الضياء [2]

و هكذا يبدو توحد الشاعر مع شخصية " الخضر " بعد أن برزت الملامح المشتركة و صارت شخصية " الخضر" ماثلة في الحاضر ، فقد جعلها إطارا لتجربته بكل أبعادها ، دون أن يحدث فجوة بين صوته و صوت الشخصية . كما أن الغماري يتقاطع مع الشعر الجاهلي في ذكر بعض الأزلام و الأنصاب الجاهلية القديمة و المعاصرة فيذكر مثلا " اللات " و يلمح بها إلى الجاهلية العربية المعاصرة حيث النخوة على الجنس و العبودية و إمبراطوريات الشر و الشيطان و لا نخوة عندهم على شيم .أو مبادئ أو أعراض أو أوطان فيقول :

يزجون بالكلام الشعار قنابل الحقد الشعار

و عليك ، يا أهواز " باسم " اللات ...

[1]- مصطفى محمد الغماري :أسرار الغربة ، ص 37-38.
[2]- المصدر نفسه : ص 37-38.

ينقض الدمار

يختال ...

لا يعجب إذا غنى لدبلته الصغار [1]

قومية عشقوا مساوئها ...

و هبوا كالتتار

كالريح تقتلع الجذور ...

و تترك النبت الضرار ...

لقد سيطرت النزعة الدينية الإسلامية على الشاعر مصطفى محمد الغماري حيث نلمسها في معظم قصائده و

جسدها في – خضراء – حيث يقول :

يلوكني ألمي ... يا أم ... يدميني

فأجعل الحزن بعضا من تلاحيني

أرنو ... و أبحر في الأبعاد ....ظامئة

سفائني ... و بحار الشوق تقضيني

أنا المسافر ... يا شوقي ... و يا أملي

وان تدجي الأسى هيهات يشنيني

زادي .... شريعتي الخضراء ... تطعمني

ومن كرومك ... يا رباه تسقيني [2]

فنجد الغماري في هذه الأبيات يعبر عن حزنه و ألمه فجاءت خضراء و انتشلته من كل ذلك بما تحمله من صفات عديدة كالصبر و الإنعاش و التجدد ، فالعقيدة الإسلامية نور الأنوار في الكون .

[1]- مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، ص 179.
[2]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 31.

و خضراء تنتصر على كل أساطير الخصب و الانبعاث التي عرفها الناس شرقا و غربا ، فهي الزاد الذي يتزود به الغماري في الحياة ، ونجده أيضا يشبه العقيدة الإسلامية ب " فاطمة " فيقول :

أهواك خضراء يا سمراء ملء دمي

فإن صددت ... فلا أهواك حمراء

أهواك عذراء في طهر كفاطمة

فإن عذرت ... فلا أهواك شمطاء .[1]

فهو يقدس العقيدة الإسلامية ويشبهها في صفاتها وطهرها و نقائها بالمرأة العذراء ، و مثل لها بفاطمة العذراء بنت الرسول – صلى الله عليه و سلم – و تتعدى علاقة حب الغماري لخضراء إلى قندهار حيث يقول :

أنت أنداد و غيم و انتشاء .

حديثنا عن كتاب الضوء عن أي شهيد

قد نسينا أحرف إليه ، و أينا بالنشيد

و عدونا تحمل التابوت

نبكي القدس ... و الماضي البعيد

يرفض الماضي وجودا رافضا فيه الوجود .[2]

فقندهار تمثل الخصوبة فهي الإقليم الأفغاني المسلم الواقف في وجه المد الشيوعي الإلحادي (أنت أنداد و غيم وانتشاء) فهي تضرب في أعماق الشاعر مرتبطة بخضراء العقيدة و الأرض فنجد الغماري ركز على قيمة

الإيمان عند ما قال :

قد نسينا أحرف إليه ، و أينا بالنشيد [1]

[1]- المصدر نفسه : ص 32.

[2]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 74.

فإذا فقدنا القرآن و فقدنا الثقة بالنفس فإننا نفقد الأرض حيث يقول :

نبكي القدس ... و الماضي البعيد [2]

و وظف الغماري " التابوت " دلالة على الموت و الصمت و السكون و الجمود و التلاشي ... وهذه صورة الإنسان العربي ، و يحضر التابوت من خلال النص القرآني ، قال تعالى : " و قال لهم بينهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم و بقية مما ترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة ،إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين (248) [3] .

و جاء في التفسير ان – التابوت – كان فيه أشياء فاضلة في بقايا الأنبياء و آثارهم تسكن إلى ذلك النفوس و تأنس به ، ثم قرر الله تعالى أن مجيء التابوت آية لهم (لبني إسرائيل) إن كانوا ممن يؤمن و يبصر . [4]

و تأثر الغماري بالعقيدة الإسلامية إلى حد كبير حيث نجد قصائده فيها الكثير من الآيات القرآنية ، حيث يقول في قصيدة – قرر أن نعشق الشمس – يولد الحي من الميت كما تولد نار من حجر [5]

و هذا ما يتوافق مع قوله تعالى : " إن الله فالق الحب و النوى يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون "[6] (95)

كما نجد في قصيدته كذلك – ليدع ناديه –

و ليدع من عشق الطاغوت ناديه [7]

و هذا ما يحضر في النص القرآني في قوله تعالى : " فليدع ناديه (17) سندع الزبانية (18) كلا لا تطعه واسجد و اقترب" [8](19)

كذلك نجد الغماري يقول في قصيدته (وحدي مع الله) في ديوانه (قراءة في آية السيف) :

---

[1]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 74.
[2]- المصدر نفسه : ص 74.
[3]- سورة البقرة : الآية 248.
[4]- عبد الرحمن الثعالبي : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق : عمار الطالبي ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 236.
[5]- مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف ، ص 33.
[6]- سورة الانعام : الآية 95.
[7]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 56.
[8]- سورة العلق : الآية 17-19.

خلقت فردا و آتي الله منفردا

وحدي مع الله أتلوا السين و الياء [1]

وهذا ما يتوافق و قول الله تعالى : " وكلهم آتيه يوم القيامة فردا (95) [2]"

ونجد الغماري استخدم في ديوانه (حديث الشمس و الذاكرة) —حاخام — للدلالة على الدين المسيحي اليهودي فهو أحد العناصر الأساسية في الكنيسة اليهودية و يمثل السيطرة و الهيمنة الغربية حيث يقول :

يبيع سيف (علي) من يقدسه

و القدس ينتعل (الحاخام) أقصاها ؟

يباح ... بصلاح الدين ... و انتفضت

(حطين) تبحر في الآلام ذكراها [3]

فوظف الغماري القدس دلالة على الصمت الذي يهيمن على المجتمع العربي و السكوت على الاضطهاد و الظلم ، و القرار يكون من الغرب متجها نحو العرب ، فلقد فقد العرب البطون التي تنجب الرجال الذين يعتمد عليهم أمثال صلاح الدين .... وهذا ما جاء في قوله :

يباح .... بصلاح الدين .... و انتفضت .

(حطين) تبحر في الآلام ذكراها [4]

فبالرغم من الاحتلال الذي يخيم على أوساط المجتمعات العربية و يخنق العقيدة الإسلامية إلا أنها تأبى الركود و الانصياع له وذلك لاستمرار رايتها مرفوعة دائما .

و يصرح الغماري بلفظة (الصليب) للدلالة على الديانات السماوية حيث يقول :

ما أبشع الوجه الكنود

---

[1]- مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف ، ص 39.

[2]- سورة مريم : الأية 95.

[3]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 19-20.

[4]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 20.

عبدوا الصليب

وباسمه يجنون من ثمر الوعود

هذي المساجد تشتكي ....

هذي المصاحف ... يا إله

ما ذنبها .....؟

حتى تمزق أو تحرق يا إله [1]

فيظهر الصليب في هذه الأبيات كشعار ديني مسيحي ، فالغماري يبكي على حال الأمة ، و يتحصر على حال الإسلام وما فعله الغرب به حتى أصبحت المساجد تدنس و المصاحف تحرق و المسلمون لم يحركوا ساكنا .

تبين من خلال هذا أن الغماري شاعر الجهاد الإسلامي بحق حيث نجده ملما بكل جوانب العقيدة الإسلامية ، وعلى دراية بالتراث الإسلامي وهذا ما جاء على شكل شخصيات إسلامية و قصص في العديد من قصائده بدواوينه (أسرار الغربة) ، (قصائد مجاهدة) (حديث الشمس و الذاكرة) ، (قراءة في آية السيف) .

2- الرمز الصوفي :

إن النص الصوفي شعري بامتياز ، وكثير من الكتابات الشعرية أخفقت في توظيفه لأنه من الصعب أن تضيف إليه إضافة تكون أكثر زخما و إيحاءا من عرفانية النص الصوفي .

و المتأمل في الخطاب الشعري الصوفي لمصطفى محمد الغماري يدرك أنه ليس صوفيا بقدر ما هو شعري ، فالتصوف بالنسبة إليه ليس طريقة ابتداعية أو عقيدة سلوكية ، بل يدخل ضمن المفهوم البسيط للتصوف الإسلامي " الذي يثور فيه الشاعر المتصوف على المفاهيم الدنيوية المادية السائدة و يحن إلى نموذج إسلامي عادل

[1]- مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف ، ص 81-82.

، و يأتي كل ذلك في إطار رحلات صوفية تمتد عبر تاريخ الأمة [1]المليء بانتصارات الحق على الباطل و بسطوع النور على الأرجاء المظلمة .

و إن المترقب لشعر الغماري يجده يوظف العنصر الأنثوي و الحب الإلهي ، وكانت المرأة دلالة المحبة الإلهية ، فتضافر بذلك الحب الروحي مع الحب الإنساني ، وذلك ما يبدو في تجربته – بين قيس و ليلى – فإن كان العنوان يدلنا إلى القصيدة المعروفة في الأدب العربي (قصة مجنون ليلى) إلا أننا أثناء دراستنا للقصيدة نلمح ذلك البعد الصوفي المتمثل في حب الله عز وجل و غرقه فيه إذ يقول :

الحب شعلة أشواق مقدسة

تنفست ... فالمدى المجهول يشتعل

ماض على الدرب محفور ... بذاكرتي

و حاضر .... وغد بالله متصل[2]

كما يؤكد ذلك في المقطع الموالي في رد ليلى على قيس :

ليلى : يا قيس .... إن جهلت عيناك ذاكرتي

وحذرتك مواعيد الآلي خدروا

سل الآلي هدهدوا الأضواء ممطرة

كرم الوصال .... إذا غنى الهوى سكروا

لم تسق أجفانهم ذكرى على أثر

لكن دموعهم في الله ... تنهمر

ثأر الكرامة .... و الأجيال غاضبة

[1]- عمر أحمد بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر (الشعر و سياق المتغير الحضاري) دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2004 ص 99.

[2]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 23.

يرودها الأخضران الفجر و السور[1]

وهذا يصادق قول رابع العدوية :

أحبك حبين حب الهوى

و حب لأنك أهل لذلك

و قد تشبث الشعراء منذ القديم ب : ليلى على اختلاف محبوباتهم فصارت –ليلى – رمزا لأسمى درجات الحب و أرقاها يتجسد فيها حب المرأة و الأرض و العقيدة و الفكرة ، ....

أنا المجنون يا ليلى و أنت الجن و السحر

أنا الساري يليل الحزن لا شفق ... ولا فجر

و يا ليلى الهوى العذري ... شوقي راعف غمر

على وادي القرى لبيت لماها جني الذكر

سليه سليه ... تشهد لي الطبي و الرمل و البدر

وجل العشق في التوباد ...يا عشاق ... و الذكر [2]

إن احتفاء الشاعر بالجوهر الأنثوي و برمز المرأة للحب كمدرك و جداني يرتقي في نصوصه من طبيعته الغزلية إلى العوالم الصوفية المتعالية ، ف (ليلى) ليست حبيبته في الشريعة الإسلامية المتصلة بالمحبة الإلهية ، محبة امتلكت قلبه و عقله و شلت رغباته ، يمتزج فيها الألم باللذة و الحرمان بالرغبة ، محبة أذابت نفسه و عطلت حواسه فصار منفصلا عن عالمه متعلقا بعوالم علوية يهيم فيها .

و قد استمد الغماري أساليبه من المعجم العاطفي الحسي التي يتداولها الغزليون من الشعراء إذ يتخذها الصوفية قوالب جاهزة لهم للدلالة على أحوالهم الصوفية . يستثيرون بها وجدان المتلقي ، لكن اعتبارها قوالب جاهزة في التعبير لا يعني تطابق الحالات الشعورية بين الحب الحسي و الحب الصوفي فالمشترك بين التجربتين هو المعرفة بحالة

[1]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 24.
[2]- مصطفى محمد الغماري : مرجع سابق ، ص 47.

الحب ، و الحب عند المتصوفة لا يمكن تحديده و لا تعريفه و إنما يحدد باللفظ فقط و يعرف بالعرف و الاصطلاح ، و يعبر عنه بالرمز [1]

يقول :

تغربت عني

وحيد أنا في زمان الهجير

أقاتل باسمك ألف جدار

وكم قتلتني الوجوه الصغار

و لكني باسمك الصعب أحيا [2]

كما يستعير الغماري الدلالات الصوفية و يستحضر المعاني القرآنية و الصفات الإلهية في قوله تعالى : " يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار نور على نور[3] " ، و الدلالة الصوفية للزيتونة إنها " النفس المستعدة للاشتعال بنور القدس و بقوة الفكر "[4]

وهذا ما يظهر في قول الغماري :

يداها صلاة المواسم

أنشودة الرمل للياسمين

تحية طلع إلى فرع زيتونة أخضر [5]

[1]- مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في اللغة العربية و آدابها : الرمز و جمالياته في شعر مصطفى محمد الغماري ، شريك خليصة ، جامعة المسيلة ، 2011 -2012 ، ص 29.

[2]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 10.

[3]- سورة النور : الآية 35.

[4]- إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ، ص 229.

[5]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 63.

ف (صلاة المواسم) دلالة العطاء و المواسم المقدسة و الأزمنة المباركة دلالة على الفرح و الجمال من خلال أنشودة (الرمل للياسمين) و دلالة السلام و البركة و النور في (فرع زيتونة أخضر) فالغماري لم يصرح بمحبوبته لأنها ربة شعره فهي جوهر العشق و الشعر حيث يقول :

أتيت الحياة .... بريئا

و في شفتي هواها

أحبك .... أحمل حبي

على الكفر سيف جهاد

و أهواك حرف انتصار

و أهواك رمز امتداد [1]

فجسد لنا هذه الأبيات العشق الإلهي المسكون بخضراء أي بحب العقيدة الإسلامية و الأرض و الوطن ، " وتظل صوفية الشاعر صيحة تصوغ من آلامها كيانا جوهريا أصيلا هو العقيدة الإسلامية و الشريعة السمحة و التي تظهر في صورة متوشحة بدلالات لونية مختلفة يحتل اللون الأخضر فيها المكانة الأولى "[2]

فالغماري لم يكن متصوفا بقدر ما كان شاعر قلقا يبحث عن وسائط موضوعية يرسل من خلالها رسالته ، " و الغماري ليس متصوفا سلوكا و لكنه متصوف فنيا إن جاز هذا التعبير ، إنه دائم البحث عن شريعته ، عن دينه ، عن قرآنه " [3]

[1]- المصدر نفسه : ص 25.

[2]- عبد الحميد هيمة : الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر ، ص 184.

[3]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 20.

حياة الشاعر مصطفى محمد الغماري و قيمه الشعرية :

مولده و نشأته :

الغماري هو أحد شعراء جيل الاستقلال الذين فتحوا أعينهم على أرض قد مزقتها الآلام ، وشعب قوم ثخنته الجراح ، فقد كانت المرحلة التي أعقبت الاستقلال تشهد مجموعة من الصعوبات و المشاكل فرضتها طبيعة التحولات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية التي تعيشها البلاد ، فجاء شعرهم معبرا عن مظاهر الحياة الجديدة ، ومعاناة المواطنين و مشاكلهم اليومية .

ولد الشاعر مصطفى الغماري بتاريخ 16 نوفمبر 1948 ببلدية برج خريس بسور الغزلان ولاية البويرة ، تلقى تعليمه الأول على يد والده و لقنه مبادئ العربية و كان يعلمه مأثورات الحكمة و الزهد ، ثم انتسب إلى زاوية بلعموري التي زودته بمبادئ الإسلام وتعاليمه .

و قد كانت البيئة التي عاش فيها الغماري ذات طابع قروي زراعي مرتبطة بالتقاليد الإسلامية العريقة ، كما أنها بيئة فقيرة صوفية ثائرة على الظالم طامحة إلى حياة أفضل ، و تعيش هذه البيئة عيشة التقشف و الزهد [1] ، و هو ما دفع أسرته للتنقل إلى العاصمة و ترك الفلاحة إلى جانب اهتمام الوالد بتدريس الأبناء فالتحق بالمعهد الإسلامي بحسين داي حيث مكث سنتين ، و بعد إتمام المدة تحصل على الأهلية ثم على منحة إلى ليبيا حيث أكمل شهادة التعليم الثانوي على النظام الأزهري في الجامعة الإسلامية بالبيضاء ، ثم انتسب بعد حصوله على الثانوية العامة إلى كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمملكة الليبية ، وبعد سنة من الدراسة في كلية اللغة العربية لم يستقر له الأمر و قرر العودة إلى الجزائر ، انتسب إلى كلية الآداب و العلوم الإنسانية سنة 1968 بالجزائر و منها تخرج في 1972 و بها حصل رسالة الماجيستر سنة 1984 ، حول الصورة الشعرية في شعر أحمد شوقي ، وهو الأن يشتغل منصب أستاذ محاضر بمعهد اللغة العربية و آدابها بجامعة الجزائر .

[1]- سعيد بن زرقة : الشاعر مصطفى محمد الغماري و البعد العقائدي ، جريدة الحقيقة الصادرة بتاريخ 21 إلى 27 ديسمبر 1993 ، ص 11.

و في مطلع السبعينات بدأت كتاباته الشعرية تلج الميدان الأدبي ، و كانت له مميزات تميزه عن غيره من شعراء جيل الاستقلال فهو يجمع بين أصالة الشاعر القديم و إبداع الشاعر المعاصر ، وهو شاعر من شعراء الإسلام المخلصين الذين هاجموا أصحاب الفكر المادي و أتباعه ورفضوا الشيوعية فعلا و انتماءا [1] ، فكتب في ظل تناقضاته الفكرية و المذهبية التي تراوحت بين الشيوعية و الوطنية التي ظلت حبيسة الفوضى المنهجية التي لم تستطع أن تلبي رغبة الشعب الجزائري في استقلال يرجونه شرقيا إسلاميا [2] . و في هذا اتفاق مع الطاهر يحياوي في قوله : " استطاع الغماري أن يرتقي إلى مستوى الأمانة و الرسالة الإسلامية سيفا من سيوف الله مسلولا في وجه أولئك المشعوذين الانتهازيين الرجعيين الذين لازالوا يحنون إلى الاستعمار بكل شوق و هيام" .

و قد تراوح شعره بين العمودي و شعر التفعيلة ، إلا أن النوع الذي استطاع من خلاله الشاعر إيصال مشاعره إلى القارئ هو الشعر العمودي ، كما ان الغماري واقعي في تناوله لموضوعاته التي ينتقدها، فقد عبر الشاعر عن آلامه و أحزانه و ثورته على الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي الذي أصبح أسيرا للغرب و لعبة بين أيديهم يعبثون بها كما يشاؤون ، و الغماري بدأ الكتابة في الشعر منذ 1963 و بدأت دواوينه تظهر إتباعا خلال تلك السنوات و لازالت تتلاحق بين الحين و الآخر .

" و الحق أن الغماري شاعر موهوب يصدر في قصائده عن طبع لا تطبع ، بل هو مسكون بعشق الغناء الشعري ، مسيطر إلى حد محدود على أدواته اللغوية و الفنية ، لا ينافسه في قدرته إلا قلة قليلة من شعراء الجزائر ، و يكفي أنه يكاد أن يكون وحده في سلامة اللغة مفردات و تراكيب و في صحة العروض "[3].

[1]- يحياوي الطاهر : البعد الفني و الفكري عند الشاعر مصطفى الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 120.
[2]- عمر أحمد بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري ، دار الهدى ، الجزائر ، ص 102.
3- حسن فتح الباب : شعر الشباب في الجزائر (بين الواقع والأفاق) المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983،ص120

مؤلفاته :

يتميز الغماري عن غيره من الشعراء بوفرة الإنتاج الشعري ، له مجموعة من الدواوين نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : قصائد مجاهدة ، أسرار الغربة ، حديث الشمس و الذاكرة ، قراءة في آية السيف ، أغنيات الورد و النار .... الخ .

القيم الشعرية في شعر مصطفى محمد الغماري :

لا يختلف الغماري عن غيره من الشعراء المعاصرين في مخاطبتهم للقراء ، فهو لا يخاطب فيهم السمع فحسب ، بل شيئا آخر مختلف كل الاختلاف ، يسعى دائما إلى جعل المتلقي يجهد نفسه بإعمال فكره ووجدانه معا للوقوف على جملة الحقائق و الأفكار ، و القضايا التي يتضمنها شعره ، و الأهداف التي يصبوا إلى تحقيقها ، فالعمل الشعري عنده حركة لا تهدأ ، نموذج حي لأحداث الواقع ، إذ يرتبط ارتباطا و ثبقا بالحياة ، له قوة تأثير فني ، يوظف فيه الغماري البيان على اختلاف أشكاله من مجاز و استعارات ، ويستخدم فيه ألفاظ و عبارات مختلفة الدلالة متعددة المعاني ، وهذا ما ينفي عن شعره سمة البساطة و السهولة المباشرة ، لذلك يذهب الغماري إلى أنه يجب على قارئ هذا الشعر و منذ وقت أن يوفر جهدا معتبرا لفهمه و إدراك أبعاده و غاياته ، " ومعنى هذا أن الشعر في تصور صاحبه ليس من النوع المتسم بالبساطة و السهولة و الوضوح المباشر "[1]

و قصائد الغماري تنطوي على قيم شعرية مختلفة و أساسية في كل بناء شعري ، فهي من جهة تعبير صادق عن وجدان الشاعر وما يتصل بنفسيته ، ومن جهة ثانية دفاعا عن القيم الأصيلة للأمة التي ينتسب إليها في قالب شعري مليء بالألفاظ الموحية و العبارات الدالة ، فهي فيض وجداني و فكري و شعور فني في إطار كامل لا يقبل التجزئة .

[1]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 10 .

و الغماري بعمله الإبداعي هذا يمشي بخطوات ثابتة و قوية اتجاه فضاء شعري رحب له الريادة و السبق معتمدا في ذلك على طريقة تفكيره و نظرته العميقة للواقع ، وطموحه الذي لا يعرف له حدود ، وتبعا لهذا كله جاء شعره مجسدا لقيم ينشدها العام و الخاص ، فالناس يتلقون عن الشاعر " رسالة الحياة " [1]

و الشعر عند الغماري و غيره من الشعراء المعاصرين " ديوان يقيد فيه أهل العقول الراجحة ما يجيش في خواطرهم .... " [2]

و قد عمد الغماري إلى توظيف القيم الشعرية الثلاث : القيمة الفكرية ، القيمة الشعورية ، القيمة التعبيرية ، فكان بذلك ذا قيمة كبيرة لدى جمهور القراء ، و ذلك بعرض هذه القيم لمعرفة أهم ما يميزها .

1- القيمة الفكرية :

نتجت هذه القيمة في شعر مصطفى الغماري من كون الشاعر صاحب موقف ثابت ، ورؤية فكرية ثاقبة جسده بشكل بارع في قصائده على اختلافها و تعددها ، فهو شاعر الإسلام الذي لبس ثوب الجهاد في سبيل الشريعة الإسلامية ضد كل الأعداء و الحاقدين بتصميم قوي و عزم شديد و قوة صامدة ، فشعره تميز بالرؤية الشمولية و دار حول محور كبير هو محور العقيدة الإسلامية ، فرسالته التي يصبو إليها الدين الإسلامي و الشريعة الخالدة ، و العامل الإسلامي بكل أبعاده و امتداده بأمجاده الماضية و مآسي حاضرة و تطلعات مستقبلية ، و المسلمون في مواجهة التحديات المعاصرة بكل وجوهها السياسية و الاجتماعية و الفلسفية و التاريخ الإسلامي بشخصياته المجاهدة في سبيل رسالة الإيمان و ثورتهم ضد الظلم و الانحراف و السيطرة ، يتعرض الشاعر لكل هذه القضايا من خلال إحساس فياض عارم و نشوة صوفية [3].

فالغماري من خلال أشعاره كلها صاحب رسالة هي خدمة الإسلام ، ويجب أن تتعمق الحياة اليومية بكل أبعادها الاجتماعية و السياسية و الفكرية ونجد كل هذا في مثل قوله :

---

[1]- عكاشة حسان شايف : مفهوم الأدب في النقد العربي المعاصر ، رسالة دكتوراه (مخطوط) جامعة الإسكندرية ، 1990 ، ص 47.
[2]- المرجع نفسه : ص 47.
[3]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 11 .

أنا فيك يا بنت السماء مسافر وترى و فكري

متوثب في الدرب إعصارا على أشلاء دهري

في ظلك القدس لملمت الرؤى و هتكت ستري

وعلى حناياك اخضرار شبت فيه لهيب عمري

قسما .... و ألم أنها في الضوء مكرمتي و فجري

إني لأفي فيك ... أمعن في الحنين بزاد صبر

شرف فنائي فيك إني قد نذرت دمي و فكري

إن هذا الحب الذي يغمر نفس الشاعر هو الذي يصوره في كثير من الأحيان متصوفا ، يذوب عشقا في ذاته الإسلامية و يهيم وجدانا و حنينا إليها فقد ملكت عليه ذاته و أمره فلم يعد يفكر إلا من خلالها ، بل أنه طالما صرح أنه لا يجد الاستقرار إلا بجانبها ، ولا يعرف لذة الحب و الهوى إلا في أحضانها ، و إيمانه العميق بالشريعة الإسلامية متمثلة أساسا في القرآن الكريم و بعض قصائده إلى أن يتحول إلى داعية إسلامي يتوجه بدعوته تلك إلى المفكرين الذين يخيل إليهم أنهم لا يزالون ظلالا ما لم يستمدوا أفكارهم من القرآن الكريم [1]

ومن خلال شعره دائما يتبين لنا أن الإسلام بماضيه و حاضره و مستقبله تواصل و ارتباط لا انفصال فيه ، و أية محاولة للفصل يعدها لنا شاعرنا من قبيل المستحيل ، فهي محاولة فاشلة لإخراج العقيدة من دائرة التاريخ الإنساني برمته لأنها من كيد الحاقدين عليه و فقط ، يقول في موضع آخر :

يا قارئ الضوء السخي أما ترى

في الدرب حولك حاضرا موؤودا

أبايع بالكم الرخيص حضورنا

ونسام في سوق الزناة عبيدا

---

[1]ـ الطاهر يحياوي : البعد الفني و الفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 ، ص 146.

ويدارس تاريخ ... و تسمح أمة

رفت ... فما جن عالما ممدودا

يعد الغماري من الرافضين الدائمين لكل حاضر لا يقوم على أساس الإسلام ، وبكل مستقبل يغيب فيه هذا الأخير ، المدافعين عن التاريخ الإسلامي ، فينطلق من الماضي ليعيش في الحاضر و يتطلع إلى مستقبل أفضل لواقعه ، وعقيدته فيه ، ويجعل لشعره ، في ضوء القيمة الفكرية له المثل الأعلى للجهاد الإسلامي فاستعمل فيه أسلوبا يخالف المباشرة و الوضوح مهمته خدمة المبادئ السامية مؤمنا كل الإيمان بأنه على الشاعر أن يسخر شعره لخدمة المبادئ السامية ، فلا يكتب إلا عن المجد ولا يبتغي غير الشرف ، و بهذا يحق له ريادة هذا الشعب المتعطش إلى الدعاة المخلصين .

يقول الشاعر في مخاطبته نيرودا [1]:

إيه نيرودا لو قرأت كتابي لرأيت الخلود يسقيك نهلا

لو قرأت القرآن ما كنت إلا ثائرا في الوجود ينشد عدلا

فكتابي العظيم ينبوع سر ظل يجهل الحقيقة ظلا

أيها الجاهلون ما أتفه العقل إذا صد عن كتابي و ولى

فالغماري من خلال مفهومه الإسلامي صاحب رسالة عالمية ، فالإسلام عنده لا يتجاوز الحدود الإقليمية و القطرية ، فهو يتجاوب مع القضايا الإسلامية حيثما كانت ، فهو متعاطف مع المسلمين في مواقفهم الثورية ، ويطمئن للإسلام من وجهه الرافض للظلم و القهر و الاضطهاد .

[1]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته و خصائصه الفنية ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1985 ، ص 72.

2- القيمة الشعورية :

إن المعيار الذي يمكن أن نحكم به على الشعر هو الصدق بقيمته الخلقية و الفنية ، حيث نجد مصطفى محمد الغماري في مقدمة ديوانه (أسرار الغربة) يقول :" إن أبرز خاصية من خصائص هذه المجموعة هي الصدق بقيمته الخلقية و الفنية "

و الحق أن الغماري لم يحد عن الصواب حين حكم على شعره هذا الحكم ، فإن عنصر الصدق هو الأساس لنجاح العمل الفني بعامة و الشعري بخاصة ، وهو عنصر متوفر في أغلب قصائده ، وهذه الميزة جاءت من خاصيتين أساسيتين في شعره ، أولهما الذاتية التي تطبع شعره ، فذات الشاعر تطل علينا من خلال كل جملة شعرية ، وقد استطاع أن يمتزج بموضوعه امتزاجا كليا .

و لعل حرصه على هذه الذاتية هي التي تدفعه إلى استعمال ضمير المخاطب و لم يلجأ إلى الصيغ الخطابية إلا في حالات قليلة جدا .

و الغماري في هذا كله متأثر بالشعراء الوجدانيين ، لا يكتنفون بخلع الحياة على الشيء غير الحي ، لا يقنعون بإقامة المشاركة الوجدانية بينهم و بين الشيء .

وثانيهما الاغتراب الذي يدل على حالة الغماري النفسية ، حالة تتسم بالقلق و الاضطراب من أجل قضية عامة و الحالة المؤسفة التي آل إليها المسلمون وهو من أجل هذا الواقع الأليم الذي يعيشونه يشعر بالاغتراب [1] .

إن الملاحظ لشعر الغماري يجده حافلا بالقيمة الشعورية الحادة والتي اكتسبها من الظاهرتين السابقتين — الذاتية و الاغتراب — فنجده أحيانا يسرف في التعبير عنها بإحساس حاد و حرص كبير ، و الغماري بهذا مدرك تمام الإدراك أن : " الشعر تعبير حر عن عاطفة الشاعر ووجدانه ، و الحقيقة هي في التعبير الصادق الأمين عن تلك العاطفة و ذلك الوجدان " [2]

---

[1]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته و خصائصه الفنية ، ص 17 -18 .

[2]- محمد حامد الحضري : الأدب و مهامه في النقد الأدبي الحديث ، ط1 ، دار الطبعة ، رابطة الأدب الحديث ، القاهرة ، 1992 ، ص 22 .

لقد استطاع الغماري أن ينقلنا بواسطة شعره إلى الإحساس الكلي بصلتنا بالحياة العامة ، و الواقع الإسلامي بشكل خاص ، واستطاع أن ينقل إلينا شعوره باللحظات و الحالات النفسية نقلا قويا يسري فيه شعورنا ، فذهب بنا بذلك إلى عالمه لنشاركه مشاعره كأننا نعيشها ، فكل حالة شعورية عنده هي وحدة قائمة بذاتها .

يقول الغماري .

أنا المقرور يا ليلى ..... فهل لي واحة بكر

أنا الظمآن يا ليلى وأنت الماء والجمر

شهودي في الهوى شوق وأنت حبنا الطهر

وقرأن الهوى أبدا حدائق في دمي خضر[1]

نجد الغماري هنا متشبع بذلك الشوق الصوفي الذي نجده عند كثير من الشعراء المتصوفين ، فهو دائم الشوق والبحث وتقصي أخبار العقيدة والدين ، يبحث عن الحقيقة التي غابت في يوم من الأيام ، عن القرأن الذي يعد الوجه الحقيقي للإسلام ، شعور لم يستطع الغماري ان يكتمه في صدره ، فاثأر التعبير عنه في كثير من القصائد التي كانت تعبيرا صادقا عن هذا الشعور بين حناياه .

كما نجده يقول في قصيدة (أغنية الشمس) .

يا درب إني و الحبيبة في الغربة

خضراء كالأمواج ... كالشطأن

وغدا ستزهر في يديك خمائلا

رغم الجفاف ... كريمة الأحضان [2]

[1]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 21.

[2]- مصطفى محمد الغماري : ديوان اغنيات الورد و النار ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980 ، ص 23.

يشعر الغماري هنا بحزن شديد نابع من إرادة قوية في التعبير ، ونظرة يائسة جراء غربة يعيشها في قرارة نفسه ، غير أن هذا الشعور اليائس الحزين لا يلبث أن تحل محله مسحة متفائلة ، ورغبة جامحة في التغيير و التطلع إلى غد مزهر رغم الجراح و الآلام و الظلام الدامس .

3- القيمة التعبيرية :

تنوعت اللغة عند الغماري حسب حالته النفسية ، فعكست أصالته و ذوقه المتميز ، هي بحر من الألفاظ و العبارات التي تعد أصدق معبر عن تجربته ، و يعود الفضل في ذلك إلى قوة الخيال الذي يلعب دورا فعالا في بناء القصيدة ، خيال يضفي صورا و ظلالا يشعها اللفظ و تشعها العبارات إضافة إلى معناها الحقيقي .

كل هذا ينقل الألفاظ من استعمالاتها المألوفة و القريبة إلى أخرى بعيدة ، خاصيتها المميزة هي شيوع البيان فيها من مجاز و استعارات ، فكثير جدا من الألفاظ قد اتخذت على مدى العصور دلالات مختلفة ، وقد يصر اختلافها ، إلى أن تطلق على عكس ما كانت تطلق عليه و قد تنتقل من الحسية المعنوية ، كما تنطلق عن طريق المجاز و الاستعارة ، و الحديث عن القيمة التعبيرية في شعر الغماري يقودنا بالضرورة إلى القول أن كثرة التجارب و المشاهد التي ارتبطت بحياة الشاعر جعلته يستخدم ذاكرته و خياله و وعيه ، و الرمز كما هو معروف يؤدي إلى التلميح والتأويل ، وبذلك تعدد هذا الأخير عن الغماري وتنوعت دلالاته حيث جاء كل رمز بصورته الفنية الإيحائية تعبيرا مختلفا عن غيره من الرموز .

يقول الغماري في إحدى قصائده:

أهواك عذراء في طهر كفاطمة

فان غدرت...فلا أهواك شمطاء[1]

في هذه الآبيات نجد الغماري يرمز إلى العقيدة الإسلامية في صفائها ونقائها وطهرها بالمرأة العذراء ومثل لها بفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

[1]- مصطفى محمد الغماري : ديوان أسرار الغربة ، ص 53.

وكذلك نجد الصور البيانية التي هي عناصر أساسية في بناء الصورة الشعرية عند الغماري، هذه الخيرة غنية بدلالتها التي تعبر عن الأ لم الحاد من جهة ، وتوحي بالمشاعر و الأحاسيس النفسية التي تدل على نفسية الشاعر المتأزمة و المعذبة .

ومن جهة أخرى فالصورة عنده نقل صادق للأشياء و تعبير عن مظاهرها المتصلة بذاته يقول :

حبيبتي ... و عيون الليل تصلبني

في غربة الروح ... وفي منفاك أرتحل[1]

إن الغماري في هذه الأبيات يجسد لنا صورة موحية ومعبرة عن أحاسيسه المختلفة التي تمزق نفسه عندما يلفه الليل وحيدا هذه الوحدة تجعله يتخيل أشياء تعذبه وتزيد في عنائه واساه .

كما نجد ان العبارة في شعر الغماري عنصر هام يجسد القيمة التعبيرية ، فالعبارة تستمد دلالتها من مفردات الدلالات اللغوية للألفاظ ، والغماري في عمله الشعري يقوم بتوليد العبارة ." من الدلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الألفاظ في نسق معين ، ثم من الإيقاع والموسيقى الناشئة من مجموعة إيقاعات الألفاظ متناغما بعضها مع بعض ، ثم من الصورة والضلال التي تشعها الألفاظ متناسقة في العبارة [2].

وعلى هذا فالقيمة التعبيرية هي مجموعة من الألفاظ والعبارات والمدلولات وكل ما تعلق بها من موسيقى وإيقاع نابعين من الوزن والقافية ، وذلك لان وظيفة التعبير لا تنتهي عند الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، بل تضاف إلى هذه الدلالة مؤثرات أخرى يكمل بها الأداء الفني ، وهي جزء أصيل من التعبير الأدبي ، هذه المؤثرات هي الإيقاع الموسيقي للكلمات والعبارات و الصور و الظلال التي يشعها اللفظ ، وتشعها العبارات [3]

إلى دلالات أخرى معنوية متداخلة .

معنى هذا أن الغماري يعمل على بعث الحياة في الأشياء المعنوية – مثلا – فيجعلها محسوسة كما في قوله :

[1]- مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، دط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982، ص 114
[2]- سيد قطب : النقد الأدبي أصوله و مناهجه ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 114.
[3]- المرجع نفسه ، ص 34.

كأن الظلام المر ... يحفر في دمي

سرابا و أوراق الأسى تثمر الحزنا [1]

ففي هذه الأسطر يجعل الشاعر من الظلام شيئا محسوسا ، فيصوره في صورة إنسان يستطيع الحفر ،كما يصور الأسى أشجارا و مزاياها إعطاء الثمار ، فهو بهذا يجعلنا أمام صورة حية إن لم نقل تنبض بالحياة .

ومن الخصائص التعبيرية الأخرى عند الغماري ارتباط القاموس الشعري عنده بالطبيعة ، حيث نجد في شعره الكثير من الألفاظ التي تتصل اتصالا وثيقا بمجالات الطبيعة (الشمس ، الضياء ، الشفق ..) إضافة إلى الألفاظ الدالة على الألوان مثل (اللون الأسود : دلالة على الحزن) ، (اللون الأخضر : دلالة على الفرحة و الأمل) .

و في هذا تعبير دقيق عن حالتين نفسيتين متناقضتين ألمتا بالشاعر هما الغربة و الحنين فلا يتعامل الشاعر مع الألفاظ بوصفها موادا قاموسية يركب بها قصيدته ، كما يركب النجار بالخشب كرسيه ، وإنما يتعامل مع روح الألفاظ التي تنسجم مع ما يجيش في أعماقه من عواطف و إحساسات .[2]

[1]- مصطفى محمد الغماري : ديوان أسرار الغربة ، ص 91.
[2]- عكاشة حسان شايف : مفهوم الأدب في النقد العربي المعاصر ، ص 53.

خطة البحث

مقدمة

الفصل التمهيدي : التراث : المفهوم والأهمية

الفصل الأول : التراث الإنساني

1 – التراث الأسطوري

2 – التراث التاريخي

الفصل الثاني : التراث الإسلامي الصوفي

1– الرمز الديني

2– الرمز الصوفي

الملحق

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

الملخص

شكر و عرفان

الحمد لله الذي خلق الإنسان و ميزه بنعمة العقل
فبقدرته و مشيئته استطعت أن أتم هذا العمل الذي
أتقدم من خلاله
بأسمى عبارات الشكر و العرفان لكل من ساهم في
إنجازه و إكماله
فأتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذة اللغة و
الأدب العربي
بجامعة محمد بوضياف - المسيلة -
و بالأخص : الأستاذة المؤطرة : " رحماني نجية "
التي لم تبخل علي
بالنصح و الإرشاد ، و إلى كل طلبة السنة الثانية
ماستر تخصص أدب جزائري دفعة **2013**
كما أتقدم بالشكر إلى كل عمال مكتبة البهاء على
كل خدمة لي
و إلى كل من قدم لي يد العون سواء من قريب أو من
بعيد
شكرا

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ – ب – ج
الفصل التمهيدي	5 – 15
الفصل الأول	
التراث الإنساني	17 – 35
الفصل الثاني	
التراث الإسلامي الصوفي	37 – 51
الملحق	53 – 63
الخاتمة	65 – 66
قائمة المصادر والمراجع	68 – 70
الملخص	

قائمة المصادر والمراجع:

- القران الكريم

1-ابن منظور : لسان العرب ، المجلد 2 ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1992،

2- ابن منظور : لسان العرب ، مطبعة البولاق ، القاهرة ، 130

3-إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991

4-أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني : شرح المعلقات السبع ، الدار العالمية ، بيروت ، 1992 7 هـ ، مادة ورث

5-احمد أمين : قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية ، القاهرة ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، 1953

6-أحمد كمال زكي : الأساطير ،دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1997،

7-آمنة أمقران : الرمز في شعر مصطفى محمد الغماري ، د ط ، د ت

8-إحسان عباس : فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، د ط ، د ت ،

9- إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط3 ، دار الشرق للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2001

10- إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، 1978

11-الأسطورة توثيق حضاري : قسم الدراسات و البحوث ، جمعية التجديد و الثقافة الاجتماعية

12- العنتيل فوزي : الفلكور ماهو ، دار النهضة العربية للنشر ، القاهرة ، د ت

13-جلال الحنفي : الأمثال البغدادية ، بغداد ، 1962 ،

14- حنا عبود : القصيدة و الجسد ، مدخل إلى نقد الشعر ، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب ، ط1 ، دمشق ، 1988

15-حلمي بدير : أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ، دار الوفاء الدنيا للطبع و النشر ، ط2 ، الإسكندرية ، 1997

16-حسن فتح الباب : شعر الشباب في الجزائر (بين الواقع والأفاق) المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1983

17-حسين محمد سليمان : التراث العربي الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988 ،

18-رينيه ويليك واستن وازين : نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة : حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1987

19- طارق زيادة : إشكالية الأصالة و المعاصرة ، مجلة الأزمنة ، فرنسا ، قبرص ، العدد 19 ، مارس 1988

20- محمد فتوح أحمد : الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ، ط2 ، دار المعارف ، 1984،

21- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته و خصائصه الفنية ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1985

22-محمد حامد الحضري : الأدب و مهامه في النقد الأدبي الحديث ، ط1 ، دار الطبعة ، رابطة الأدب الحديث ، القاهرة ، 1992

23-محمد الطمار : مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005

24-محمد علي الكندي : الزمن و الإقناع في الشعر العربي الحديث (السياب و نازك و البياتي) ، ط1 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، 2003

25- مصطفى محمد الغماري : ديوان أسرار الغربة ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982

26-مصطفى محمد الغماري : ديوان اغنيات الورد و النار ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980

27-مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الرغاية ، الجزائر ، 1986

28- مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، مديرية الإنتاج ، مطبعة أحمد زبانة ، الجزائر ، 1983

29-مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982

30-نعيم الباقي : أوهاج الحداثة ، د ط ، د ت ،

31- صبري مسلم حمادي : أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 ، بيروت ، 1980،

32-عبد الحميد هيمة : البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر (شعوب الشباب نموذجا) ، ط1 ، دار هومة ، الجزائر ، 1998

33-عبد الحميد هيمة : الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر

34- عبد الرحمن الثعالبي : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق : عمار الطالبي ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر

35-عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر (قضاياه و ظواهره الفنية) ، المكتبة الأكاديمية ، ط5 ، بيروت ، لبنان ، 1994 ،

36- عكاشة حسان شايف : مفهوم الأدب في النقد العربي المعاصر ، رسالة دكتوراه (مخطوط) جامعة الإسكندرية ، 1990

37-عزوز فوزية : مورفولوجية الحكاية الشعبية ، التراث العربي و جديد القراءات النقدية ، أعمال الملتقى الوطني الأول ، البدر الساطع للطباعة و النشر ، العلمة ، الجزائر ، 09 ماي 2011

38- علي جعفر العلاق : في حداثية النص الشعري ، ط 1 ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، 2003
39- علي عبد الرضا : الأسطورة في شعر السياب ، دار الرائد العربي ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1984 ،
40- علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1998
41- علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة
42- عمر أحمد بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري ، دار الهدى ، الجزائر
43-غالي شكري : التراث و الثورة ، دار الطبعة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1973 ،
44- سعيد بن زرقة : الشاعر مصطفى محمد الغماري و البعد العقائدي ، جريدة الحقيقة الصادرة بتاريخ 21 إلى 27 ديسمبر 1993
45- سعيد سلام : التناص التراثي ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن ، 2010 ،
46- سيد قطب : النقد الأدبي أصوله و مناهجه ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982
47- شلتاغ عبود شراد : الغماري شاعر العقيدة الإسلامية ، دار مدني ، د ط ، د ت ،
48- فراس السواح : الأسطورة و المعنى ، دراسات في ميثولوجيا و الديانات الشرقية ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط8 ، 1998 ،
49- يحياوي الطاهر : البعد الفني و الفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري ، 1983
50- يوسف داوود أحمد : لغة الشعر ، بحث في المنهج و التطبيق ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، سوريا ، 1986
- الأطروحات
1- مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في اللغة العربية و آدابها : الرمز و جمالياته في شعر مصطفى محمد الغماري ، شريك خليصة ، جامعة المسيلة ، 2011 -2012

مقدمة :

إن المتتبع للحركة الأدبية عامة و الجزائرية خاصة يستطيع أن يرى أكثر الأجيال حيوية و نشاطا في مجال الإبداع الأدبي هو جيل الشباب الذي يمثل الولادة الحقيقية للشعر الجزائري .

و يمكن أن نلحظ لدى غالبية الشعراء في مرحلة السبعينات و الثمانينيات و التسعينات عدم الرضا بالواقع الراهن و محاولة استشراق أفاق جديدة ، وكان من نتائج ذلك انفجار النص الشعري الجزائري المعاصر ، وهو نص شعري جديد يستوعب الواقع الثقافي و الاجتماعي ، ولم يكن ذلك مجرد نزوة عابرة ، وإنما كان مشروعا ثقافيا مؤسسا يقوم على المورث كقاعدة للانطلاق .

و إن التراث الشعبي بكل أنواعه و مواده قد أغرى الباحثين و الدارسين في العقود الحديثة و المعاصرة فتهافتوا عليه يسائلونه و يستنطقونه .

و نجد الشاعر مصطفى محمد الغماري من هؤلاء الذين أبدعوا في تجسيد التراث و توظيفه في دواوينهم ، فهو أنبغ شعراء جيله بحيث كان الطابع التراثي لديه مقتبس من الأسطورة و التاريخ و الدين .

حيث سأتناول في بحثي هذا مدى حضور التراث في الشعر الجزائري المعاصر و قد وقع اختياري على الشاعر مصطفى محمد الغماري دون غيره لأسباب عديدة منها :

- لأن دراسة الغماري حق علينا لإدراك رسالة الأدب العظيمة القائمة على الأخذ و العطاء .

- وفرة إنتاج الشاعر فللشاعر مجموعة شعرية هامة .

- زيادة على هذا كله أن دراسة مثل هذا الشاعر هي في حد ذاتها إنارة لآفاق شعر السبعينات ، ذلك لأنه حامل لراية الأصالة في أعماقها شكلا و مضمونا .

- لأن شعره هو شعر الحاضر و المستقبل معا ، ومازال المدى أمامه للعطاء و التطور و الإبداع .

و قد لفتني موضوع التراث لما له من خلفيات في حفاظه على كينونة المجتمع ، و لأهمية الموضوع ارتأيت طرح الإشكالية التالية :ما مدى حضور التراث في الشعر الجزائري المعاصر ؟ و كيف استطاع الشاعر الغماري تجسيده في تجربته الشعرية ؟

و لمعالجة الموضوع اعتمدت في بحثي على مناهج متعددة :

- المنهج التاريخي لدراسة الشخصيات و الأماكن التاريخية و التراثية .

- المنهج الوصفي التحليلي لوصف بعض ظواهر التراث و تحليل جزئياته

- المنهج النفسي لتفسير بعض عناصر التراث و إرجاعها إلى نفسية الشاعر .

غير أن الغالب في الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي ، وجاءت الدراسة تبعا للإشكالية المطروحة و المنهج المتبع مقسمة إلى :

الفصل التمهيدي : سأتعرف فيه على مفهوم التراث و أسأل المعاجم عن معنى الكلمة لأحدد بعد ذلك المعنى الاصطلاحي و سأتطرق فيما بعد إلى أهمية التراث .

الفصل الأول : الذي يندرج تحت عنوان " التراث الإنساني " سأعالج فيه حضور التراث من منظور أسطوري و تاريخي .

الفصل الثاني : سأقوم فيه بمحاولة رصد عوالم التراث الإسلامي و بعد ذلك تأتي الخاتمة لتجمع خلاصة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة .

و قد اعتمدت في انجاز البحث على العديد من المصادر و المراجع من بينها : (الغموض في الشعر العربي الحديث) لإبراهيم رماني و كتاب : (توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث) لبوجمعة بوبعيو ، وديوان (أسرار الغربة) للغماري .

و قد واجهتني بعض الصعوبات في إنجازه و كان ذلك في كيفية التعامل مع التراث لاتساع مجالاته .

و في الأخير أشكر كل من مد لي يد العون في انجاز هذا البحث المتواضع و إخراجه إلى ساحة الوجود .

وعلى وجه الخصوص الأستاذة الفاضلة : " رحماني نجية " .

و كل أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي بجامعة محمد بوضياف – المسيلة –

الملخص :

إن التراث هو المنبع الذي تفجر في أوساط الشعراء في فترة ما بعد الاستقلال و ذلك لأهميته في الحياة الإنسانية فهو يحافظ على كينونة المجتمع و يساهم في تطوير حضارة مضيئة للتقدم الإنساني فتعرفت في الفصل التمهيدي على مفهوم التراث و أنواعه و أهميته و اخترت الشاعر الغماري أنموذجا للدراسة .

ففي الفصل الأول الذي كان تحت عنوان " التراث الإنساني " عمد الغماري إلى استحضار التراث الأسطوري للتذكير بالأساطير القديمة و وضعها في قالب عصري يتنامى مع الواقع ، كما تألق في استحضار التراث التاريخي بشخصيات و أماكن تاريخية مستمدة من التاريخ الإسلامي ، والفصل الثاني تحت عنوان (التراث الإسلامي) حيث وظف الغماري الرمز الديني بقوة و قد استقاه من القرآن الكريم و اختار أن يكون مجاهد إلى جانب الإسلام يدعو إليه و يدافع عنه .

كما تجدر الإشارة إلى الرمز الصوفي الذي عبر فيه الغماري عن توجهه الفكري و أشواقه الإيمانية ، وهذا ما جعل النص مفعم بدلالات صوفية و فتح للقارئ المجال للتأمل و التفاعل مع هذه الألفاظ الصوفية فمصطفى محمد الغماري حمل المشعل لإثراء القصيدة بمضامين إنسانية و هو يحلم بغد أكثر حرية و أمنا و عدلا .

الخاتمة

الفصل الثاني :

التراث الإسلامي الصوفي

1- الرمز الديني

2- الرمز الصوفي

قائمة المصادر والمراجع

الملحق

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

توظيف التراث في الشعر الجزائري المعاصر
" مصطفى محمد الغماري " أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

فرع : أدب عربي
تخصص : أدب جزائري

إعداد الطالبة :
حماش حنان

إشراف الأستاذة
د / رحماني نجية

السنة الجامعية 2012-2013

الخاتمة :

من خلال الدراسة يتبين أن التراث هو المنبع الذي تفجر في أوساط الشعراء و أصبح ملجأ لكثير منهم ، وذلك لأهميته في الحياة الإنسانية لأنه أسهم في تطوير حضارة مضيئة للتقدم الإنساني ، و الدارس له يخرج برؤية متفتحة الآفاق فمصطفى محمد الغماري يعد واحدا منهم لأنه صاحب رؤية شعرية خاصة تميزت بأسلوبها و طريقتها الفنية المتفردة ، وهذا ما جعله في قمة الإبداع الشعري الذي يعبر عن كيانه و همومه ، ويصوغ قضايا الإنسان بكل جوانبها ، وهذا ما تجسد في أعماله الأدبية خاصة في دواوين أسرار الغربة ، قصائد مجاهدة ، حديث الشمس و الذاكرة ، قراءة في آية السيف) التي شهدت حضورا كثيفا للتراث بمصادره المختلفة : الأسطوري ، التاريخي ، الإسلامي ، الصوفي .

فعمد مصطفى محمد الغماري إلى استحضار التراث الأسطوري بهدف التذكير بالأساطير القديمة ووضعها في قالب عصري جديد يتنامى مع الواقع ، وهذا كله يوحي لنا أن الغماري ذو معرفة و اطلاع واسع على الأساطير عبر التاريخ وما تحمله في جوهرها من معاني .

إلى جانب استحضاره للأساطير المختلفة فقد أبدع و تألق في استحضار التراث التاريخي بأشكال عدة من شخصيات و حوادث و أماكن تاريخية التي كانت مستمدة من التاريخ الإسلامي و هذا ما ظهر في جل نصوصه .

بالإضافة إلى ذلك فإن الشاعر استحضر التراث الإسلامي بقوة في أغلب دواوينه المشتق من القرآن الكريم لأنه أدرك بحق قيمة الرسالة الإسلامية – القرآن –

و اختار ان يكون رافضا مجاهدا ثائرا إلى جانب الإسلام يدعو إليه و يدافع عنه و بهذا استحق لقب شاعر الجهاد الإسلامي .

و في هذا الصدد تجدر الإشارة إلى التراث الصوفي الذي يعبر فيه الشاعر عن توجهه الفكري و مكابداته الروحية و أشواقه الإيمانية ، و هذا ما جعل النص مفعم بدلالات صوفية ، و فتح للقارئ المجال للتأمل و التفاعل مع هذه الألفاظ الصوفية و السعي إلى خلق رؤى جديدة تسمو إلى جوهر الشيء .

إلا أن الملاحظ في شعر الغماري هو عدم حضور أشكال التعبير الأخرى (النكتة ، اللغز ، الحكاية ، المثل ..)

و يمكن القول أن مصطفى محمد الغماري حمل المشعل لإثراء القصيدة بمضامين إنسانية و هو يحمل بغد أكثر حرية و أمنا و عدلا و أيسر سبيلا للمشاركة في ركب الحضارة .

و هذا البحث قربنا من مصطفى محمد الغماري و كذا من إنتاجه الشعري و الاستفادة منه ، و ذلك لبراعته الفذة ، و لمسته الساحرة ، وبصمته الفريدة التي تركت أثرا في القلوب ، فهو واحد من أكثر الأصوات الشعرية عمقا و شموخا .

الفصل الأول : التراث الإنساني

1- التراث الأسطوري

2-التراث التاريخي

تمهيد :

يعتبر الشاعر المعاصر وليد عصره ، فهو يقوم بالعديد من التطلعات رغبة في الحصول على أكبر قدر من الثقافة التي يمتطي من خلالها صهوة تبنيه الشعر ، وتمده بالسلم الحقيقي الذي يصعد من خلاله ليوسع نظرته ، و بهذا يفتح مجالا للتراث الإنساني كله ، قديمه و بسيطه و حديثه ، شرقيه و غربيه ، دون مفاضلة و لا تمييز .

و التراث الإنساني العام هو مادة شعرية صالحة للدخول في السياق الشعري ، فنجد الكثير من الشعراء وظفوا التراث الإنساني في شعرهم و هذا ما هو مجسد لدى الشاعر الجزائري مصطفى محمد الغماري إذ نلاحظ حضورا بارزا للأسطورة و بعض الشخصيات و الأماكن في شعره .

1- التراث الأسطوري :

باعتبار الأسطورة جزء من التراث الإنساني و عنصر من عناصره الأكثر حضورا في التجارب الشعرية المعاصرة، فلا بد أن يرتبط الشعر بالأسطورة فهي الرمز الذي يجسد البشرية[1] .

فالشعر هو السبيل الوحيد المباشر لها و ابنها الشرعي باعتبارهما "يلتقيان في كون ما ينقلانه إيحاءا و املاءا و إشارة و تضمينا لا تعليما و شرحا و تلقينا ،و أخذ الشعر عن الأسطورة كيف للغة الشعرية أن تقال دون أن تقول ،و أن تشبعك بالمعنى دون أن تقدم معنى محدد"[2].

وصلة الشاعر العربي بالأساطير صلة قديمة جدا ترجع إلى العصر الجاهلي حين احتوى الشعر العربي منذ ذلك العصر على بعض الإشارات الأسطورية كالإشارة إلى حكاية زرقاء اليمامة الأسطورية ،و أسطورة الهامة أو الصدى ،و هي هامة تخرج من رأس القتيل و تنادي ،أسقوني حتى يأخذ بثأره"[3]

واستمر الحال على ذالك حتى العصر الحديث ، فحاول شعرنا المعاصر ان يستغل ما توفر له من معطيات تراثه الأسطوري ، فلقد اجمع النقاد على بروز هذه الظاهرة في الشعر العربي يعود بالدرجة الأولى إلى تأثر الشعراء الرواد بالشاعرين ."اليوت" و " سيتويل " وهو تأثر جاء في السياق العام للتطور الذي حصل في الشعر العربي على مستوى الشكل و المضمون .

" فاستعمال الأسطورة في الشعر العربي هو أجرأ المواقف الثورية وأبعدها أثارا اليوم لان في ذلك استعادة للرموز الوثنية واستخدام لها في التعبير عن أوضاع الإنسان العربي في هذا العصر[4] .

ولجأ الشاعر العربي المعاصر إلى الأساطير الأجنبية فشاعت في شعرنا الأساطير الإغريقية والبابلية والفينيقية ، وامتلأت قصائد شعرائنا بأسماء سيزيف ، أوديب وهرقل من التراث الأسطوري الإغريقي ، وتموز ، عشتروت، ادونيس ..... من التراث الفينيقي والبابلي .

[1]- إحسان عباس : فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 201.
[2]- فراس السواح : الأسطورة و المعنى ، دراسات في ميثولوجيا و الديانات الشرقية ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط8 ، 1998 ، ص 22.
[3]- أحمد كمال زكي : الأساطير ،دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1997، ص 90-91.
[4]- إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، 1978، ص 165.

"فالمنهج الأسطوري إذن هو تقديم التجربة في صورة رمزية ، وقد كانت هذه الصورة من التعبير أقدم صورة عرفها الإنسان ، وما تزال حتى اليوم اصدق واقرب صورة من صور التعبير "[1].

"وتعامل مصطفى الغماري معها لا يخرج كثيرا عن هذا الحكم و التجاؤه إليها اخرج تجربته من الذاتية إلى الإنسانية لخدمة رسالته الشعرية الإسلامية ، فالإسلام رسالة كونية ، وكما لمسنا مصادره من الرمز التاريخي والديني المرتبطة بروح الإسلام والنابعة من عمق حبه وارتباطه بالعقيدة الإسلامية فان الرموز الأسطورية في شعره لا تخرج عن هذه الرؤيا "[2].

ولقد استعمل مصطفى محمد الغماري أسطورة " هيلانا [3]" للتغيير عن أحلامه الضائعة في ذروة ماساته مع الواقع فيقول :

يلوك الحزن أشواقي .... يئن اليأس والضجر

يطوحني كما الآمال في جنبي ..... تنتحر

فيدميها اللهيب المر .... يدميها ....فتنتشر

بعيدا عنك هيلانا ...... فلا ناي ولا وتر

ولا أمل يبرعم فيه ...... يزهو ... يحلم الزهر

ولا ذكرى تعاودني وهل يحلو لي السمر؟[4]

وهنا الشاعر وظف زمن " هيلانا " كدليل على القوة الكامنة في الشريعة الإسلامية التي ترمز إلى الوفاء والإخلاص .

[1]- عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر (قضاياه و ظواهره الفنية) ، المكتبة الأكاديمية ، ط5 ، بيروت ، لبنان ، 1994 ، ص 226.
[2]- آمنة أمقران : الرمز في شعر مصطفى محمد الغماري ، د ط ، د ت ، ص 80.
[3]- هيلانا : أسطورة باكستانية إسلامية ترمز إلى القوة الذاتية التي تكمن في أعماق العقيدة الإسلامية تعبيرا عن مواجهتها لكل التحديات .
[4]- مصطفى محمد الغماري : ديوان أسرار الغربة ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982، ص 13.

فالغماري راح يبحث عن جوهر الحياة في ذاته ليصمد أمام الواقع المتناقض الذي طغت عليه المادة و قضت على كل القيم الإنسانية ، فأراد توظيف " هيلانا " حتى تنتشلنا من ذلك الواقع إلى واقع جديد يتسم بالقيم الإسلامية ، فبدون هذا الواقع يفقد الإنسان ذاتيته فيقول :

بعيد عنك ....راحلتي تجوب الليل و السفرا

تأكل خطوطها في الغربة السوداء ....واندثرا

بعيد عنك .... فلا نايا يسعدني و لا وترا

تماوج كرمه الصوفي في الأعماق وأزدهرا [1]

فهو يؤكد على صعوبة الحياة بدون " هيلانا " فهي مصدر القوة و الاستمرار و يحن إلى لقياها فيقول :

تدور ...... تدور أشواقي ....إلى لقياك تبتهل

تلملم خصلة الأحلام من عيناك تكتحل

ففي عينيك –هيلانا – ربيع مطلق أزل [2]

"فهيلانا " مصدر الحقيقة المطلقة و الأزلية ، و الأحلام بوجودها تتحقق لتجعلنا نتطلع إلى غد مشرق ، يقول :

غدا يا قصتي السمراء .... أجني منك إسعادي

فيخضر الدم الضمآن في أعماق أمجادي

ومن حولي هتافك يرتوي من كرمه الوادي

يضم الله فاصلة ..... تعطر دربنا الصادي

و أنت أنا .... على شفتيك يا هيلانا أورادي

وملء يدي جدائلك الوضاء تلم أبعادي[3]

[1]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 13.
[2]- المصدر نفسه : ص 14.
[3]- المصدر نفسه : ص 16.

و قد برزت " هيلانا " محاطة بهالة النور و القداسة و الطهر لتجسد جوهر الحقيقة التي تبحث عنها طويلا ، و لقد أظهر استخدام الغماري لأسطورة "هيلانا " عن توجهه الإسلامي و خلفيته الثقافية الواسعة للأساطير عبر التاريخ ، كما يستحضر الغماري أسطورة " تموز "[1] اله الخصب عند البابليين – فيقول :

عبر الجراح الخضر يكبر ، يا جزائر ، ألف عيد

يا عيدها العشرين

أمطر ألف "تموز " سعيد

أمطر

فقد غرقت " تماميز " الحيارى في الجليد[2]

تناول الغماري في هذه الأبيات " تموز "كشخصية فقط دون التعرض إلى تفاصيلها ، ونجد اللون الأخضر كدلالة على الخصب الذي يمثل التضحية و العطاء ، و إن انتقال الجرح إلى اللون الأحمر لون الدم و الألم إلى اللون الأخضر لون الحياة و البعث هو تعبير عن أسطورة الثورة التحريرية التي جاءت بعد عناء ، و لكن بعد عشرين سنة من الاستقلال تنحصر رسالة الثورة و الشهداء ، و تنحصر دلالة الخصب و العطاء و يفشل ألف "تموز " في نشر الخصب لأن " التماميز "كلها غرقت في الجليد ، ففي مرحلة بعد الاستقلال لم ينتج شيء في مستوى ما حققته الثورة

. و في الأخير تفوق اللون الأخضر الذي هو حبيبة الشاعر – العقيدة الإسلامية – على اله الخصب محور الأسطورة الوثنية و على كل القوميات .

إلى جانب " تموز " نجده يحي أسطوره " عشتار" المعبودة البابلية و هي آلهة الحب و الجمال و يرتبط اسمها بطقوس الخصب ، و يقترن بالإله "تموز " وهي آلهة الحرب أيضا .

فيقول الغماري :

---

[1]- تموز : إله الخصب عند البابليين الذي يصور حالة الخصب أو حالة الجدب عند غيابه عن العالم السفلي .

[2]- مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 178.

و تبقى مثلها كانت ، قبيلا ينشد الثارا

يحاصر في خريف الدهر (ميسونا) و (عشتارا)

بسيف (عفلقي) الوشم تزرع كفه النار

و يحسب وهمه حلما ، و سيف الله أسمارا[1]

جاءت (عشتار) في هذه الأبيات لإبراز الأحقاد و الضغائن التي تنتج الدمار و الآلام .

ويقول أيضا :

آه يا أحبابنا جنت مسافات البعاد

فاغتربنا........

ولدينا من ضياء الله زاد

حين غالت فطرة الصحراء " عشتار "[2] و " عاد "[3]

يستخدم الشاعر (عشتار) معادلا (لعاد) ليبرز الظلم و الجبروت و الشر والبؤس و الضلال و قتل إنسانية الإنسان .

و هذا التوظيف الأسطوري ل(عشتار) و (عاد) جاء لتقوية سياق المعنى والدليل على ذلك طرح المعادل المعنوي ل (عشتار)و (عاد)

وامتدت دلالة عشتار إلى البعد الوثني الذي نقضه العلم و الدين،كما نجد مصطفى محمد الغماري يشير إلى أسطورة الغول والعنقاء حيث يقول :

تهب الضياء ....فيا رمال تدفقي

وذري الدجى للغول و العنقاء

[1]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الرغاية ، الجزائر ، 1986، ص 35.
[2]- عشتار : آلهة الحب و الخصب و الجمال عند الفينيقيين ، وهي نفسها آلهة الزواج عند المصريين أخت أوزوريس وزوجته والدة دوروس.
[3]- مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، مديرية الإنتاج ، مطبعة أحمد زبانة ، الجزائر ، 1983، ص 26.

للاهثين وراء كل "معلب"

و السادرين وراء كل غياء[1]

فالغول دلالة على الخوف و الرهبة و الفزع ، أما العنقاء فهي أسطورة البعث بعد الموت ، فطائر العنقاء كما تقول العرب يبعث من رماد.

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى ما هو موجود في الحاضر من سيطرة للقوي الذي صار يلهث وراء المادة، متصورا إياها مصدر الخلود ، و هو ينفر من هذا الواقع المرير الذي يبعد الإنسان عن إنسانيته و يجعل منه وحشا .

لجأ الغماري إلى توظيف الأسطورة كغيره من الشعراء لأنها تظل موردا سخيا في كل عصر و في كل بقعة ."يجسدون عن طريق معطياتها الكثير من أفكارهم أو مشاعرهم مستغلين ما في لغة الأسطورة من طاقات إيحائية خارقة، و من خيال طليق لا تحده حدود"[2] .

و لقد أمدت الأسطورة التجارب الشعرية الشابة بطاقات فنية هائلة ، و أثرت البناء الشعري بصورة عميقة تمتد عبر الزمان و المكان ، و تصل التراث الإنساني العالمي بالتراث المحلي ، و الأسطورة ليست كما يظن البعض أنها " مجرد نتاج بدائي يرتبط بمراحل ما قبل التاريخ أو بعصور التاريخ القديمة في حياة الإنسان ، إنما هي عامل جوهري في حياة الإنسان في كل عصر ، و في إطار أرقى الحضارات"[3] .

2 – التراث التاريخي :

يحاول الشاعر المعاصر استيعاب التاريخ كله من منظور عصره ، فهو العصا التي يتكئ عليها في إبداعه الشعري، و " ميزة الشاعر المعاصر دائما في هذا الصدد انه يستطيع الإفادة من الخبرات الماضية في تشكيل

[1]- مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، ص 153.

[2]- علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ص 75.

[3]- عبد الحميد هيمة : البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر (شعوب الشباب نموذجا) ، ط1 ، دار هومة ، الجزائر ، 1998 ، ص 81-82.

المفاهيم الجديدة ، وهذا يسلمنا إلى حقيقة ان الشاعر المعاصر لا يرتبط بالتاريخ ارتباطا طوليا فحسب ، بل يرتبط به كذلك ارتباطا عرضيا"[1] .

وان الأحداث التاريخية أو الشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي فهي صالحة لان تتكرر من خلال مواقف وأحداث جديدة ، وفي نفس الوقت قابلة لتحمل تفسيرات وتأويلات مختلفة .

وقد استخدم شعراؤنا كثيرا من الأماكن التاريخية كالقدس ، كربلاء ، مكة ، دمشق ، الجليل ، ... وغيرها ، ويتم اختيار هذه الأماكن وفق شيئين أساسيين :

1 – الحالة الوجدانية التي يكون فيها الشاعر أثناء صياغة مشروعه الإبداعي ، فإذا سيطر عليه الشجن فانه يختار الأماكن المشجنة ،و ان وقع في حالة الغبطة فانه ينتقي أماكن الفرح و المسرة .

2 – الغرض الذي يرمي إليه في استدراج القارئ.[2]

" و ان مفهوم الأماكن و الآثار يمتد ليشمل الشخصيات التاريخية التي لها دلالة بارزة سياسية كانت أم دينية أم اجتماعية أم فكرية ".

" و المهم في ذلك الوظيفة التي تقوم بها الآثار أو الأماكن أو الشخصيات ، فمادامت الوظيفة الفنية هي الأساس ، وبناءا عليها تنجح الشخصية في أداء دورها مثلما تنجح الآثار و الأماكن[3].

و لا يخفى على قارئ شعر الغماري ان الأعمال التاريخية ترد فيه بكثرة تلفت الانتباه مما يجعل الحديث عنها و معرفة الدافع إليها منهجية ملحة، لذا فان التاريخ الذي ارتبط به الغماري تاريخ عريض بزمنه ، ولا يمكن لأي ذاكرة انسانية أن تنسى هذا التراث العظيم ، يقول الدكتور طه دادي " التراث جزء من الواقع انه خلاصة الماضي وروحه اللتان تشكلان عنصر الاستمرار"[4] .

[1]- عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، قضاياه الفنية و المعنوية ، المكتبة الأكاديمية ، ط5 ، 1994 ، ص 15.
[2]- حنا عبود : القصيدة و الجسد ، مدخل إلى نقد الشعر ، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب ، ط1 ، دمشق ، 1988 ، ص 217.
[3]- المرجع نفسه : ص 217.
[4]- شلتاغ عبود شراد : الغماري شاعر العقيدة الإسلامية ، دار مدني ، د ط ، د ت ، ص 155.

و لقد اعتمد مصطفى محمد الغماري في شعره على مجموعة من الأماكن و الشخصيات التاريخية و هذا ما نجده في قوله :

يقولون : دعنا ....ذاك عزو مشرد

و أنت بأفيون الخيالات .....تسعد

تقول نبؤات الرفيق .....وفكره

و " ماركس " في خلق التعاليم .... أوحد [1].

ف " ماركس " و " لينين " إشارة إلى ما تبناه تيار فكري معين هو الماركسية ، و أ شار الغماري إلى ما يحملونه من نقد لما هو موجود وشائع عند الأمة المتمثلة في الخلفية الدينية الإسلامية إذ يقول :

هو الجوع في بطن الأعاريب .... قد غزا

و ما الدين إلا خدعة .... و تصيد

كذبتم .... فما الإسلام إلا عقيدة

تجلى بها قومي فسادوا .... و شيدوا

و ما أنتم و الدين .... يا من ركعتم

للينين .... و الفوضى هناك ..... تعبد

و سبتم يديه .... في صغار و ذلة

و للزيف .... في أوهام لينين مشهد[2].

و هو يصادف القول المشهور للماركسية :

لا اله و الحياة مادة :. و الدين أفيون الشعوب .

[1]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 10.
[2]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 10-11.

كما نجد مصطفى محمد الغماري وظف شخصية " بابلو نيرودا "، حيث يرسل الشاعر رسالة شعرية إلى بابلو نيرودا يذكر فيها ثورة شعبه على الظلم و الاستبداد ، و لكنه في نفس الوقت يخالفه في الفكر الذي تبناه بابلو نيرودا ، فوجهة شاعرنا مصطفى محمد الغماري تخالفه تماما حيث يقول:

إيه نيرودا .... لو قرأت كتابي

لرأيت الخلود يسقيك نهلا

و لرق القيتار اخضر نشوان

يضم الحياة عطرا و فلا

و جرى الوحي في لسانك أضواء

تصب الربيع ..... طيبا و ضلا

لو قرأت القرآن ما كنت إلا ثائرا

في الوجود ..... نبشر عدلا

إيه نيرودا ..... فد غصت .... و لكن

لظلام أشقى ..... و أفتك قتلا

أيها الجاهلون ..... ما أتفه العقل .

إذا صد عن كتابي ..... وولى[1] .

و يشير الشاعر أيضا إلى الصحوة الإسلامية التي حدثت خلال فترة السبعينات فيذكر أنها عمت البلاد الإسلامية كافة شرقا و غربا ، من " إيران " إلى " بخارى " إلى " الفلبين " إلى " الجزائر " و غيرها حيث يقول:

قد شاء ان يرود صمودي

أية إليه .... حرفها الأبديا

[1]- المصدر نفسه : ص 46-47.

و نحي محمدا ..... و ضحاه

و نغني نشيدنا الأزليا

في " بخاري " ..... أخت الجزائر في الحب

نناجي صوفيها العبقريا

في " الفلبين " ..... كم تلوب دمائي

و يفح الشقاء فيها ...... عتيا [1].

كما تأثر بشخصية – إقبال – التي يعتبرها الشاعر روح الإسلام و همه الأوحد ، و يبدو أن الغماري في عشقه للشريعة الإسلامية ، و في إيمانه لمبدأ وجوب الوحدة بين الشعوب الإسلامية ، و في استخدام لغة التصوف شديد التأثر ب " محمد إقبال[2]" فكرا و فنا ، و قد " اطلع على حياته و قرأ شعره و لاسيما (أسرار النفس) و (ديوان الغرباء) فقد أثر فيه هذان الديوانان إلى حد أنه أطلق على مجموعته أسرار الغربة[3] .

و قد أهدى هذا الأخير – الغماري – قصيدتين إلى (إقبال) في ذكرى ميلاده المئوية ، إضافة إلى الإشارة إليه في أكثر من مناسبة :

بيني و بينك ياإقبال ..... عاطفة

صوت السماء بنار العشق يسقينا

أرى بها الحرف .... أفنى في بدائعه

و انثر الوجد في اللقيا دواوينا [4].

وتتواصل هذه النجوى التي يبين من خلالها دفقات شعورية لا تحد الحدود ، فيقول :

[1]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 50-51.
[2]- محمد إقبال (1873-1938) : عالم ، فيلسوف و شاعر ، كان يبحث على الوحدة السياسية و الروحية بين الشعوب الإسلامية ، ونادى بتوجيه هذه الشعوب بغية استعادة الأمجاد الغابرة ، و قد حاول أن يبعد صياغة الأفكار ، السياسة للعقيدة الإسلامية باللغة الأكاديمية للعالم الحديث .
[3]- محمد الطمار : مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005 ، ص 233.
[4]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 85.

أنا و إياك يا إقبال ... ملحمة دروبها الخضر من هدى النبيينا

ذبنا معا في ليالي الوجد أغنية ... تخضل ... تشرب منا ...من مأقينا

لنا هموم ...تسامت في لطافتها ...إذ تغنت ...يقول الحب أمينا

و يكشف لنا تلك الرؤيا الثورية التي جمعتهما ، و أنها هي التي تحرك الذوات الشاعرة نحو هذا الاتجاه الإسلامي لحمل هموم الأمة ، فيتواصل الدور الذي بدأه إقبال في شعر الغماري :

كلانا يا غريب الدار يمضغ الألم

كلانا في الدروب الخضر إصرار .... يريغ دما

و تزهر باللقاء المطلق أقمار

نحاصرها .... فتهتف ألف مئذنة بلا هور

و يورق بالهوى القدسي ..... كشاوة .....

و بالنور ......

و بالألم الذي عانيت يا إقبال .... بالحلم

و بالصحراء [1] .

ان توافق الحب و الروح و العاطفة و الرؤيا لا يضره البعد الجغرافي أو الزمني مادامت خضراء – العقيدة الإسلامية – تجمعهما و تصنع قوميتهما ، فتمحى كل حدود الانتماء القومي ، انه حب يخترق أبعاد الزمان و المكان . كما يبرز الغماري شخصية (الحسين بن علي) – عليه السلام – وتكاد تكون أكثر شخصيات الموروث التاريخي في شعرنا المعاصر ، وقد استدعاه شعراؤنا ليعبروا من خلاله عما تعنيه هذه الشخصية من مثال الصبر وعدم الخضوع .

[1]- المصدر نفسه : ص 82.

" فقد رأى شعراؤنا في الحسين – عليه السلام – المثل الفذ لصاحب القضية النبيلة الذي يعرف سلفا ان معركته مع قوى الباطل خاسرة ، ولكن لم يمنع من ان يبذل دمه الطهور في سبيلها ، موقنا ان هذا الدم هو الذي سيحقق لقضيته الانتصار والخلود ،و أن في استشهاده انتصار له و لقضيته "[1] فكان حضوره بارزا عند الغماري فيقول :

فتثور يا حلم الحسين جياد من عشقوا خطاه

تتعرف التاريخ

ترسم في مطالعه الخلود ....

أوراس

يا ضوءا بذاكرتي

إذا غامت قاضية تضيء بعرس طهران السعيد[2] .

والغماري يفتقد نموذج الإقدام والتضحية ، ويتحسر على ما حل بالحسين تاريخيا ، فهو يسقط هذه التجربة التاريخية على تجربته الذاتية ، حيث يرى- الغماري – نفسه حسينا آخر خذله زمانه و قومه .

بالإضافة إلى الشخصيات التاريخية التي وظفها مصطفى محمد الغماري نجد كذلك الأماكن التاريخية التي كان لها صدى كبير في شعره ك : لاهور و الأوراس اللذان يمثلان الثورة و الجهاد حيث يقول :

و يزدهر في الرمال السمر .... في "لاهور "

في أسفار أيماني

و تركض منه أفراس الضحى في عمق أوطاني[3] .

[1]- علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1998، ص 121-122.
[2]- مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، ص 184-185.
[3]- مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص 81.

" فلاهور " المدينة المجاهدة التي كانت تحلم بالنصر لكن هذا الحلم سرق ، " و لقد كانت باكستان الدولة الفتية التي ولدت عام 1947 ، و كانت محط الآمال و الميلاد المرتقب لدولة الإسلام ، و لكنها سرقت و صارت علمانية الاتجاه كغيرها من دول العالم الإسلامي [1].

و لكن " لاهور " ستبقى في الذاكرة دلالة على الصمود و الثورة و الرفض ، كما ارتبط ب (الأوراس) التي هي منطقة خالدة في الجزائر حيث يقول :

أوراس ملء جبينه شمم ، ومن يده الغناء

حبات رملي ... يا فرنسا و الذرى الشماء

تروي على شفة الزما ن ، فتسكر الأمداء

أما زرعنا حبنا رفضا ، فأمرعت الجواء

و ذهب يصفعك الضحى قدرا ، وكم سخر القضاء[2]

فالأوراس تحمل في طياتها المقاومة و التحدي و الرفض للواقع الفاسد و السعي لتغييره و استبداله بواقع أفضل ، "فلاهور و الأوراس " ما دام يجمعهما دين واحد و جرح واحد و ثورة واحدة فهما روح واحدة ، وهنا امتزج التراث التاريخي بين لاهور و الأوراس،

إلى جانب " الأوراس " و "لاهور " نجد الغماري وظف أماكن تاريخية أخرى "كطهران " و " الشهباء " فهي تضاهيها مكانة حيث يقول :

من الألم الذي عانيت كنت قصيدة الثار

وكنت الريح و كنت النار

كنت مسافة العار .....

على " طهران " تقرأ في الأصالة سيف إصرار

[1]- شراد عبود شلتاغ : الغماري شاعر العقيدة الإسلامية ، دار مدني ، د ط ، د ت ، ص 202.
[2]- مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، ص 134-135.

و في " الأوراس "

ترسمني الرياح جراح ثوار

و في " بغداد " و في "الشهباء " وعد الورد و النار[1]

حيث يصور الغماري في هذه الأبيات المعاناة التي تعرضت لها هذه الدول (طهران ، الأوراس ، بغداد ، الشهباء) من طرف المستعمر الأجنبي من ظلم و طغيان وجبروت ، و لكنها ناهضته بكل السبل .

لكن في الوقت الحاضر نجد " بغداد " و " حلب " تعيش واقعا مخالفا ، فإذا كانت " الأوراس " ثارت وحققت – عن طريق القوة – ما تريد ، فإن مدننا عربية أخرى لا زالت ترصف في هون الذل و الجور و تمارس على مواطنيها كل هون الجبروت و الطغيان لكنها لا تثور[2].

وقد ربطها السباق الشعري ب " طهران " الثورة الإسلامية و زمن الجهاد المعاصر .

" لقد مزج الغماري بين عصر زاهر و أخر مظلم ، بين اليأس و الأمل ثم بشر بتاريخ جديد ، ميلاد جديد و كان الأوراس هو الذي حرك في نفسه هذا كله"[3] .

يقول الغماري:

وسقتنا من كروم الحب في لاهور أكوابا دهاتا

وعلى البيضاء كنا .....

ليتنا لم نعرف القيد ، وقد كنا ، انعتاقا

و تجلى الحب في "طهران "أفراسا عتاقا ...

وعلى "كابول "كان السيف [4].

---

[1]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 36.
[2]- محمد علي الكندي : الزمن و الإقناع في الشعر العربي الحديث (السياب و نازك و البياتي) ، ط1 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص 373.
[3]- علي جعفر العلاق : في حداثية النص الشعري ، ط 1 ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، 2003 ، ص 151.
[4]- مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف ، ص 74-75.

فالثورة عند الغماري هي مفتاح المجد و الأمل و التغيير الإيجابي الذي يكون صرح جديد للأمة ، كما نجد الغماري يحن إلى الماضي الحافل بالبطولات ، و ينكشف ذلك من خلال الشخصيات التاريخية (ابن الوليد ، صلاح الدين ، علي ......)التي كان لها وقع في أعماق التاريخ عبر العصور .

و في قصيدته " يا قدس "يقول :

كأنما المجد لم يعشق ملاحمها

وابن الوليد على اليرموك ماتاها

كأنما نحن أغراب بقريتنا

إن الغريب الذي لا يعرف الله[1]

يعتبر " ابن الوليد " رمزا تاريخيا مفعما بكل معاني القوة المادية و الإيمانية ، فهو القائد العادل و القوي في التاريخ الإسلامي حيث يعد سيف الله تعالى الذي ينشر الإسلام عبر العالم ، وقد يستخدم هذا الرمز لرفع الهمم، و بث الروح القومية ، و استنهاض الضمائر أو جعله قدوة ورمزا للجهاد و المقاومة .

و إلى جانبه نجد " صلاح الدين الأيوبي " و " علي " (أكرم الله وجهه) اللذان يعتبران من الشخصيات الإسلامية العامرة بالإيمان و الجهاد في سبيل نصرة الإسلام فيقول الغماري :

يبيع سيف "علي " من يقدسه

و القدس ينتقل "أكا خام " أقصاها

يباح ... بصلاح الدين ... وانتفضت

(حطين) تجر في الآلام ذكراها[2]

في هذه الأبيات نجد ذكر " صلاح الدين " يستدعي ذكر "حطين " فتكون العلاقة بينهما تلازمية أي كل ما ذكر الأول استدعى ذكر الثاني .

[1]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 21.
[2]- المصدر نفسه : ص 19-20.

ليثري الغماري قصيدته (من يرد التتار) في ديوانه (حديث الشمس و الذاكرة) أكثر استعانة بحادثة تاريخية كان لها صدى في التاريخ (ذايزن) فلم ينحصر ذكره لها للإثراء فقط ، بل تعدى ذلك إلى ما تكشفه من بطولات عربية و في هذا الصدد يقول :

من يرد التتار

آه لا السيف سيف

ولا الدرب درب

ولا الدار دار

ومن يرد الرياح التي سلبت (ذايزن) ؟[1]

واستحضر الغماري "هنا صورة البطولة العربية ، و اختار لذلك سيرة سيف بن ذي يزن و مزجها بصورة من صور الهزائم أمام جيوش التتار "[2] .

تعد بدر من أكثر الأماكن ورودا في شعر الغماري ، فنجد دلالتها تتغير في كل مرة ، فمرة تكون دلالتها على القوة و النصر كقوله :

تصحو الملاحم في مسافتها

حدث عن (اليرموك) عن (بدر)

عنيت في أعراسك الحمر

ألما يثور بوعدك البدري[3]

و يقول كذلك :

آياتها الخضراء ملحمة

[1]- المصدر نفسه : ص 78.
[2]- محمد أحمد فتوح : الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر ، ط3 ، دار المعارف ،القاهرة ، مصر ، 1984، ص 63.
[3]- المصدر السابق : ص 11.

بدرية تشتلقها " بدر "

تزهو بها "أحد " و تحملها

"صفين " لا عذر ولا عمروا[1]

ونجد (بدر) في موضع أخر ليست معركة في الإسلام فحسب بل تتعدى إلى الخلود و الثبات يقول :

يمتد "بدرا " على أوثان حاضرنا

يمتد ، يختصر اللقيا تحديه

و ليدع من يعشق الطاغوت ناديه

فليس إلا رماد الكفر ناديه[2]

و إلى جانب " بدر " نجد أمكنة أخرى ارتبط بها الشاعر (القدس ، مكة ، القادسية ، بغداد ....) فالقادسية تعتبر معركة إسلامية فاصلة جرت بين الفرس و المسلمين ، وقد وظفها الغماري للدلالة على النصر فيقول :

عانيت ليلين من روم و من ورم

هذه بقاياه بل هذه بقاياها

(القادسية) باسم (البعث) قد بعثت

و الجاهلية تحي اليوم عزها[3]

ان مصطفى محمد الغماري في توظيفه للتراث التاريخي كان مبدعا ، و ذلك لدقة اختياره للشخصيات التي أعطاها الحياة من جديد ، وإحياؤه الأماكن التاريخية و الحوادث و بذلك أصبحت خالدة عبر التاريخ يتناقلها الأجيال عن الأجيال .

[1]- مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس و الذاكرة ، ص 103.
[2]- المصدر نفسه : 55-56.
[3]- المصدر السابق : ص 20.

الفصل الأول ـــــــ

تمهيد :

تعد قضية التراث قضية جوهرية في وجودنا الجزائري و العربي المعاصر ، فنحن ما زلنا امة تراثية و التراث ما يزال في فكرنا و طبيعة نظرتنا للحياة ، بل مصدر من مصادر الإبداع و النشاط الحضاري في الحياة الإنسانية .

إن التراث الشعبي هو روح الأمة و مقوماتها و تاريخها ، و الأمة التي تتخلى عن تراثها تتخلى عن روحها ، وتهدم مقوماتها و تعيش بلا تاريخ ، و يشكل التراث بوجهيه المادي و المعنوي حضورا حقيقيا ، ومحاولة التخلص من آثار التراث و قوة جذبه هي إحدى أولى العناوين التي تطرحها أي حركة تدعي الإبداع و التجديد .

كما أن التراث قد احتل مكانا بارزا لدى شعراء العصر ، لكون الشعر يعد أكثر المجالات الإبداعية انتماءا إلى الماضي و المحافظة على أصوله ، فقد ظل وفيا لتلك الأصول رغم ما طرأ عليه من تجديد في الأغراض و الأساليب ، فالتراث يعد الدعامة الأساسية و الركيزة التي تميز ملامح الأمة عن سواها .

1- تعريف التراث :

أ- لغة :إن لفظ التراث في اللغة العربية مشتق من مادة " ورث " و تعني ما يرثه ابن من أبيه من مال وحسب ، أو حصول المتأخر على نصب مادي أو معنوي ممن سبقه [1].

و المعاجم العربية القديمة تجعله مرادفا لـ : الإرث ، و الورث ، و الميراث .

فينقل عن ابن منظور في لسانه عن ابن الأعرابي قوله : " الورث و الإرث و الوارث و الإراث و التراث واحد "[2] . وكلها تشير إلى معنى واحد " فالورث " و "الميراث " خاصان بالمال ، و أما الإرث خاص بالحسب [3] ، وقد جاءت كلمة الوراث في القرآن الكريم صفة من صفات الله عز وجل : " و زكرياء إذا نادى ربه ، رب لا تذرني فردا و أنت خير الوارثين " [4].

و يقول الرسول – صلى الله عليه و سلم – في حديث الدعاء : " و إليك مآبي و لك تراثي " [5]

فيعلق عليه ابن منظور بقوله : " التراث ما يخلفه الرجل لورثته " [6]

ومن الاستعمالات النادرة لكلمة التراث بمفهومها المعنوي ما جاء في معلقة عمرو بن كلثوم حيث يقول :

ورثنا مجد علقمة ابن سيف	أباح لنا حصون المجد دينا
وورثت مهلهلا و الخير منه	زهيرا نعم ذخرا لذاخرينا
و عتابا و كلثوما جميعا	بهم نلنا تراث الأكرمنا [7]

و معنى هذا " أننا ورثنا مجد هذا الرجل الشريف من أسلافنا و قد جعل لنا حصون المجد مباحة قهرا و عنوة أي غلب أقرانه على المجد ثم أورثنا مجده ذلك ، ثم يقول : " ورثت مجد مهلهلا و مجد عتاب و مجد

كلثوم و بهم بلغنا ميراث الأكارم أي حزنا على مآرثهم و مفاخرهم و شرفنا بهم وكرمنا "[1]

[1]- ابن منظور : لسان العرب ، المجلد 2 ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1992، ص 192-201.
[2]- ابن منظور : لسان العرب ، مطبعة البولاق ، القاهرة ، 1307 هـ ، مادة ورث .
[3]- المصدر السابق : ص 200.
[4]- سورة الأنبياء : الآية 89.
[5]- ابن منظور : لسان العرب ، المجلد 2 ، ط2 ، ص 202.
[6]- المصدر نفسه : ص 202.
[7]- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني : شرح المعلقات السبع ، الدار العالمية ، بيروت ، 1992 ، ص 122.

ب– اصطلاحا :

التراث العربي هو كل " ما ابتدعته المجتمعات العربية في حركة صيرورتها التاريخية منذ العصر الجاهلي حتى بداية مرحلة الاستعمار من فكر وثقافة و قيم أخلاقية ما تزال محفوظة لنا بصورة من الصور "[2]

و عندئذ يصبح مدلول التراث يشمل الجانب المعنوي أو الروحي للأمة أو لأي شعب من شعوب العالم .

و التراث هو ذلك المخزون الثقافي المتنوع و المتوارث من قبل الآباء و الأجداد و المشتمل على مدونة في كتب التراث أو القيم الدينية و التاريخية و الحضارية و الشعبية بما فيها من عادات و تقاليد سواء كانت هذه القيم مدونة في كتب التراث أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن وبعبارة أخرى أكثر وضوحا أن التراث هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا به و تموت شخصيته و هويته إذا ابتعد عنه أو فقده "[3].

و هناك من حاول أن يعطي له مفهوما أوسع بحيث تتجلى فيه صفة الفعالية والتأثير و الشمول ، فيعرفه " غالي شكري " بأنه " جماع التاريخ المادي و المعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الآن " [4].

فتراث أي فن يشكل حلقة لا يمكن تجاهل تأثيرها فهو جزء من الواقع وخلاصة الماضي وروحه اللتان تشكلان عنصر الاستمرار و الوجود و لأن الواقع ثمرة الحركة يساهم فيها الماضي نتيجة لفعل التراث و باختصار التراث " هو كل ما تركه ورثة السلف للخلف " [5] أو الجيل الذي مضى للجيل الذي يعيش بعده و يتركه هو بدوره للجيل الذي يليه و هكذا ، فالتراث إذن هو روح الأمة التي تسري في كيانها عبر العصور و الأجيال ، إنه الدعامة الأساسية و الركيزة التي تميز الأمة عن سواها .. لا يجوز أن نقف بالتراث عند حد زمني أو مكاني محددين و إنما يمتد و يشمل كل ما عبر عن شعورنا و نبع من ذاتنا و ترعرع على أراضينا ...

---

[1]- المرجع نفسه : ص 129.
[2]- يوسف داوود أحمد : لغة الشعر ، بحث في المنهج و التطبيق ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، سوريا ، 1986 ، ص 63.
[3]- سعيد سلام : التناص التراثي ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن ، 2010 ، ص 12-16.
[4]- غالي شكري : التراث و الثورة ، دار الطبعة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1973 ، ص 18.
[5]- العنتيل فوزي : الفلكور ماهو ، دار النهضة العربية للنشر ، القاهرة ، د ت ، ص 77.

و بالتالي فالتراث هو موروثنا الحضاري لغة و أدبا و علما و فلسفة و سياسة و اجتماعا و آخرون يعرفون التراث على أنه "كل ما مضى من قبل ووصل إلينا حيا أو ميتا فهو تراث " [1]

و ليس كل ما في التراث قابلا للحياة دائما ، و لقد عرف أغلبية الكتاب و المفكرين التراث على أنه مجموع الموروثات القديمة التي يكتسبها الإنسان من خلال مجتمعه مهما اختلفت أنواعها معنوية كانت أو محسوسة أو مجسدة في فكر الإنسان عبر العصور ، و قد كانت نظرية التراث في مجملها إغناء للرؤيا الشعرية و تجسد هذا في الوصل الحي لحاضر الشاعر بما فيه و إن هذه المحاولات الفردية في التراث تحولت إلى ظاهرة واعية تأثر فيها شعراؤنا المعاصرون بالآداب الأوربية و بخاصة " ت س إليوت [2]" و نظريته في استغلال الموروث أو التقاليد الشعرية ، وفي هذا الصدد يقول : " التراث خير أجزاء القصيدة ، بل أكثرها تميزا ، تلك التي تؤكد فيها آثار أسلافه الموتى من الشعراء خلدوها في أقوى صورة ....."[3]

كما نجد " رولان بارث " يصنف التراث في أربعة مواقف . "التراث الشعبي ، الأقنعة ، المرايا ، التراث الأسطوري " ، ويقدم انطلاقا من هذا التصنيف نماذج مختلفة لمواقف الشعراء المعاصرين من التراث ، " فالتراث الشعبي جسر يمتد بين الشاعر والناس ، والأقنعة هي شخصية تاريخية ، المرايا هي صورة لذاته تعكس عليه الرموز ، والتراث الأسطوري هو تحويل التاريخ إلى لون من الأسطورة [4].

والتراث بمثابة ذاكرة الأمة مثله مثل ذاكرة الشخص ، فإذا افقد الشخص ذاكرته أصبح شخصا آخر لا صلة له بماضيه .

أما عن مفهوم التراث العربي الإسلامي فهو . التراث الذي سجل بالعربية ، واتخذ من الإسلام منهجا ، و بنى دراساته على التعليمات الإسلامية ، يتأمل فيما جاء في القران الكريم ويتبع أحاديث الرسول . صلى الله عليه

---

[1]- نعيم الباقي : أوهاج الحداثة ، د ط ، د ت ، ص 50.
[2]- توماس سيرنز إليوت شاعر و ناقد انجليزي ولد عام 1888 ، اشتهر ببعض قصائده خاصة (الأرض و الخراب) ، له مباحث مهمة في النقد الأدبي ترجم بعضها إلى العربية .
[3]- محمد فتوح أحمد : الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ، ط2 ، دار المعارف ، 1984، ص 320-321.
[4]- إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط3 ، دار الشرق للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2001 ، ص 318-328.

وسلم . ويفكر بما فيه خير للمسلمين خاصة وللإنسانية عامة ويسجلها في كتب هي التراث العربي الإسلامي المكتوب"[1] .

غير انه لا يمكن الخلط بين مصطلحي " التراث " و " التاريخ " فإذا كان التاريخ هو الماضي في بعده التطوري ، فان التراث هو الماضي في بعده التطوري موصولا بالحاضر أو متداخلا فيه ، كما يمكن التمييز بين التراث والموروث انطلاقا من ان التراث هو استمرار الماضي في الحاضر ، في حين ان الموروث هو ما نملكه من التراث عينا[2] . فيصبح بمثابة خاص من العام ، ولا يقتصر الموروث على الموروث الذهني بعناصره الدينية والخلقية والعاطفية والفلسفية بل يتعداها إلى الموروث المادي .

2- أنواع التراث :

أ – التراث المكتوب : هو تراث محفوظ في الوثائق والمخطوطات يتداوله أهل العلم وهو عادة ما ينحصر في الأماكن المخصصة لذلك كالمكتبات ودور الثقافة وما إلى ذالك ، وهو عادة ما يعبر عن توجهات وآراء الجهات الرسمية المسيطرة عليه .

ب – التراث الشفهي: هو تراث غير محدد بزمان ولا مكان تناقله الناس عن أسلافهم تحفظه صدور الرواة من عامة الناس من أسلافهم فنجده يعبر عن وجهة نظر الجماهير الشعبية اتجاه مختلف القضايا التي تمس حياتهم والأحداث التي تمر بها ، وقد يلاحظ الدارس في مجال التراث الشعبي الدور الهام والأساسي الذي يلعبه هذا التراث في الحياة الثقافية للأمم خاصة انه يواكب المجتمع ويساير مختلف المراحل التي يمر بها ، والمميز للتراث الشفهي انه يزداد ثراءا وتنوعا كلما خمد التراث المكتوب ، وهنا برزت الذاكرة الشعبية وراحت تبدع وتخزن ثم تنقل وتنشر وقد نقلت الجماهير الشعبية ذلك التراث لتعبيره عن وجدانها وأصالتها المهددة ، وهو مصطلح شامل يخلق ليعنى به عالم متشابك من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية و القولية التي بقيت عبر التاريخ ، وهو بهذا المصطلح يضم البقايا الأسطورية أو الموروث الميثولوجي العربي القديم كما يضم الفلكور النفعي أو

[1]- حسين محمد سليمان : التراث العربي الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988 ، ص 13.
[2]- طارق زيادة : إشكالية الأصالة و المعاصرة ، مجلة الأزمنة ، فرنسا ، قبرص ، العدد 19 ، مارس 1988 ، ص 29.

الفلكور الممارس ، وسواء ظل على لغته الفصحى أو تحول إلى أمور مختلفة فالتراث الشفهي يشمل كل شيء العادات والتقاليد والطقوس المختلفة[1] .

ان التراث الشعبي غني بعناصره المختلفة ومتنوع في مضامينه الثرية بالمادة التراثية وموضوعاتها ، لكن معظمها يندرج ضمن أربع مجموعات استقر عليها الباحثون :

أولا : المعتقدات الشعبية .

ثانيا : العادات الشعبية .

ثالثا : الفنون الشعبية .

رابعا : الأدب الشعبي .

والتراث الشعبي بعناصره مجتمعة بمثل كيانا حيا تسوده العلاقات الوثيقة والتفاعل الدائم .

حينما يتأمل الإنسان المفكر الكون فانه يحسب لأول وهلة ان عالمه هذا خليط مضطرب ، فإذا ازداد تأمله فانه يحلل ظواهره المتعددة وما يلبث أن يضم الظواهر المماثلة بعضها إلى بعض فإذا بعالمه قد تحلل إلى وحدات مختلفة كل وحدة تضم مجموعة من الظواهر المتجانسة وهذا بفعل الأدب الشعبي فانه يحول الفوضى إلى نظام . وتهدف كل من أشكاله الأسطورة ، الحكاية الشعبية ، الألغاز ، الأمثال ، النكت الشعبية إلى تفسير جانب من جوانب الحياة ، ولهذا فإنها جميعها من صنع العقلية المفسرة القادرة على استغلال اللغة في كلتا وظيفتها وهما الخلق والتفسير .

3 – أشكال التعبير في التراث الشعبي :

أ– الأسطورة :

[1]- حلمي بدير : أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ، دار الوفاء الدنيا للطبع و النشر ، ط2 ، الإسكندرية ، 1997 ، ص 04.

يتفق المؤرخون بان الأسطورة تعود إلى أزمان سابقة للتاريخ الإنساني قبل معرفة الكتابة بزمن طويل ، وتعد بلاد " سومر " أقدم الحضارات التي اعتنت بالتدوين والتسطير كما دلت عليه المكتشفات . والأسطورة في اللغة العربية من سطر بمعنى تقسيم وتصفيف الأشياء ، فالأسطورة تعني الكلام المسطور المصفوف ولا يشترط فيها ان تكون مدونة أو مكتوبة ، ولكن بالضرورة هي الكلام المنظوم سطر وراء سطر"[1] .

وقد ظن بعض الباحثين ان الكلمة مقتبسة من اللغة اليونانية ، ويقول " وديع بشور " " كلمة الأسطورة العربية مقتبسة من كلمة استوريا اليونانية وتعني حكاية أو قصة ، إلا ان كلمة أسطورة تعني حكاية غير حقيقية أو على عكس الحقيقة بينما الكلمة ذاتها استوريا تعني التاريخ "[2] .

تمثل الأسطورة عالما ساذجا بريئا يقبله الناس ويلتفون حوله في كل مكان وزمان ، وتمثل خلاصة تفكير وتأمل في الوجود والطبيعة قائم على التعليل والتفسير عن طريق التخمين دون أساس عقلي منطقي فهي " نقيضة للتاريخ أو للعلم أو للفلسفة أو للحقيقة"[3] .

أما من حيث الشكل فالأسطورة هي قصة بما تحويه من حبكة وعقدة وشخصيات مصاغة في قالب شعري يساعد على سرعة تداولها وحفظها ويزودها بأثر على العواطف والقلوب .وبانفتاحها الواسع وغير المشروط على عالم الخيال الخصب فتحت للأدب وللشعر إمكانية غير محدودة ومشروطة للإبداع والفن والجمال فهي " منجم روحي إنساني تمكنت الإنسانية عن طريقه من خلق عقول شاعرية ، خيالية ، موهوبة ، سليمة ، لم يفسدها تيار الفحص العلمي ولا العقلية التحليلية "[4].

ب ـ الحكاية الشعبية:

لغة : هي القصة وحريفة من الخوارف .

[1]- الأسطورة توثيق حضاري : قسم الدراسات و البحوث ، جمعية التجديد و الثقافة الاجتماعية ، ص 21.
[2]- الأسطورة توثيق حضاري : قسم الدراسات و البحوث ، جمعية التجديد و الثقافة الاجتماعية ، ص 21.
[3]- رينيه ويليك واستن وازين : نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة : حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص 298.
[4]- علي عبد الرضا : الأسطورة في شعر السياب ، دار الرائد العربي ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1984 ، ص 14.

اصطلاحا : هي الأحداث التاريخية التي عرفتها الطبقات الشعبية في القديم في بيئات مختلفة ذات خصائص معينة ، تنقلها الأجيال عن طريق المشافهة جيل بعد جيل من السلف إلى الخلف . فعرف ' بروب " الحكاية الشعبية " أنها نص به سبع شخصيات هذا من ناحية و كذلك تتضمن عددا محددا من الوظائف المتمثلة في إحدى و ثلاثين وظيفة تبدأ بالرحيل و تنتهي بالمكافأة "[1].

ويقول عبد الحميد بورايو " الحكاية الشعبية شكل قصصي يتخذ مادة من الواقع الاجتماعي و النفسي الذي يعيشه الشعب "[2] ومن ثم إبداع الحكاية الشعبية و انصهار كل الأفكار و المعتقدات الشعبية في بوتقة واحدة تظهر على لسان الراوي و هي النمط الأكثر تقبلا لدى الناس ، حيث يرى فيها الإنسان رغباته و طموحاته و جميع الأمم و الحضارات أخذت من منابع الإبداع الشعبي و توارثته الأجيال ، و قد عبرت الحكاية الشعبية بأصالة و صدق عن طبيعة العصور و البيئات التي أنتجتها فكانت هذه الحكايات مرآة عاكسة لدلالات متنوعة تنسجم مع الدلالات الفنية ، و بالتالي فهي تعبر بصدق عن البيئة الشعبية و ما يحيط بها من ظروف سياسية و اجتماعية ، و التعبير عن الذات و حاجياتها ، فهي تعتمد أساسا على الواقع الاجتماعي و تطوره و تحدث موازنة بينه وبين ما ينبغي أن يكون عليه إما سلبا أو إيجابا ، و لديها أنواع عدة منها : الحكاية المثلية ، الحكاية النكتية ، الحكاية الشعرية ، الحكاية الدينية .

ج- المثل الشعبي :

يقول العالم " سو كولوف " ان المثل جملة قصيرة سهلة ، أسلوبها مجازي و تسود مقاطعها الموسيقى اللفظية .

[1]- عزوز فوزية : مورفولوجية الحكاية الشعبية ، التراث العربي و جديد القراءات النقدية ، أعمال الملتقى الوطني الأول ، البدر الساطع للطباعة و النشر ، العلمة ، الجزائر ، 09 ماي 2011 ، ص 160.

[2]- عزوز فوزية : مورفولجية الحكاية الشعبية ، التراث العربي و جديد القراءات النقدية ، ص 160

ويرى علماء العرب أن المثل هو نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ و حسن المعنى و لطيف التشبيه و جودة الكتابة ، إذن فهو خلاصة تجارب كل قوم و محصول الخبرة وهو ضرب من ضروب التعبير عما تزخر به النفس من علم و خبرة و حقائق واقعية ، و بقول " ابن عبد ربه " الأمثال هي وشي الكلام و جوهر اللفظ و حلي المعاني التي تخيرتها العرب أما الأستاذ الشيخ " محمد رضا الشبيبي " في تقديمه لكتاب الأمثال البغدادية للشيخ جلال الحنفي[1] ، يقول: " الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم و محصول خبرتهم و هي اقوال تدل على إصابة المجاز و تطبيق المفصل ، هذا من ناحية المعنى ، أما من ناحية المبنى فإن المثل يتميز عن غيره من الكلام بالإيجاز و لطف الكتابة و جمال البلاغة ، و الأمثال ضرب من التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة و حقائق واقعية بعيدة كل البعد عن الوهم و الخيال ، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعرية ، فقد عرف الأستاذ أحمد أمين الأمثال الشعبية بأنها " نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ و حسن المعنى و لطف التشبيه ، وجودة الكتابة ، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم ، وميزة الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب[2] .

د- اللغز :

هو شكل أدبي شعبي قديم يعرف في المفهوم الشعبي ب " الحجاية " أو "المحاجية " ، وهي مقولات لغوية تمتاز بالغموض و الالتباس في بنيتها اللغوية الشكلية ، حيث يتطلب جهدا عقليا و نصيبا من الذكاء و الخبرة من أجل إزالة الغموض و الالتباس الحاصل .

و اللغز في جوهره استعارة ، و الاستعارة تنشأ نتيجة التقدم العقلي في إدراك الترابط و المقارنة و إدراك أوجه الشبه و الاختلاف ، على أن اللغز فضلا عن ذلك يحتوي على عنصر الفكاهة التي تنجم عن احتواء اللغز لعنصر المفاجأة ، فاللغز يشير إلى غموض الحياة و في الوقت نفسه يمثل إدراك العقل للفكر .

ومن الألغاز نجد :

[1]- جلال النفي : الأمثال البغدادية ، بغداد ، 1962 ، ص 03.
[2]- احمد أمين : قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية ، القاهرة ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، 1953 ، ص 61.

ألغاز الملكة بلقيس لسيدنا سليمان عليه السلام ، كذلك ألغاز أوديب ، ألغاز الإسكندر المقدوني ، ألغاز السيرة الهلالية ... وغيرها .

هـ– النكتة الشعبية :

هي نتاج أدبي ينبع من دافع نفسي جمعي شأنها شأن الحكاية الشعبية و الأسطورة و اللغز إلى غير ذلك ، لكنها تتميز عن هذه الأشكال فهي تعين على تحديد الزمان ز المكان اللذين نشأت فيها .

و هي خبر قصير في شكل حكاية ، أو هي عبارة أو لفظ يثير الضحك ، والنكتة تتطلب شخصين على الأقل : راوي النكتة أو مؤلفها و سامعها ، وهي ليست خبرا مباشرا أو نقدا مباشرا و إنما هي عبارة عن تلميح لشيء خفي .

4–أهمية التراث :

إن ما يهمنا من التراث في ضوء اتجاه المجتمع العربي نحو التغيير يكمن في العناصر التراثية التي تحتفظ بالقدرة على إضافة للحاضر و المستقبل ، هكذا يجب فهم التراث بمعناه الكياني لا التاريخي أو الماضوي ، فالماضي بالمعنى التاريخي مضى ، لكنه بالمعنى الكياني ليس بالضرورة التي تتحول باستمرار ، وبهذا المعنى يمكن القول إن فكر شخص ما ، أو حركة ما ، مع أن الشخص انتهى منذ قرون ما زال حاضرا "[1].

و حتى يكون للتراث بصماته في الحياة الإنسانية عامة ، وحياة الشعراء خاصة بما يضيفه إلى التجربة الشعرية المعاصرة من أبعاد فكرية وجمالية لا بد من الإطلاع عليه في كلياته و جزئياته كظاهرة أو ظواهر مادية و روحية متنوعة المناحي ومتعددة الجوانب مع الوعي التام بحقيقتها و أبعادها .

كما أن العودة إلى الماضي و قراءة التراث قراءة جيدة و عميقة ليست عودة بلا انقطاع ، وإنما هي إبحار في مجاهيل التاريخ ، ينطلق من الحاضر المعيش ليعود إليه بمعنى أن العودة إلى التراث لا يعني الغرق في ماضويته و إنما الامتداد بشرارته ، فالشاعر المبدع لا ينظر إلى الماضي على أنه بديل على واقعة ، بل يعود إليه لتلبية

[1]- طارق زيادة : إشكالية الأصالة و المعاصرة ، فرنسا ، قبرص ، العدد 19 ، مارس 1988 ، ص 29.

حاجات موضوعية و درامية ، و ليفجر فيه طاقات لم تكن له من قبل ، وإن أهمية الإطلاع على التراث إذن لا تكمن في الإطاحة به ، و لا بروزه في ثنايا القصائد الشعرية فحسب ، وإنما تكمن أهميته في تفجير طاقاته الفكرية و الجمالية أيضا .

و نظرة الشعراء إلى التراث و فهمهم الخاص له يختلف من عصر إلى عصر آخر ، كما يختلف من شاعر إلى آخر .

فالهدف من التراث الشعبي هو أنه " يحافظ على الثقافة العربية الإسلامية في أهدافها العميقة الشاملة ، و يتجلى هذا الحفاظ على الحكايات و الأمثال و الألغاز التي يستخدمها الإنسان العربي في مختلف أقطار الوطن العربي بصورة تكاد تكون واحدة بإستثناء جزئيات صغيرة كاختلاف النطق أو زيادة جملة أو حذف كلمة أخرى حسبة ظروف البيئة الاجتماعية "[1] .

فالتراث إذن هو هوية المجتمع ، فالمجتمع بلا تراث كالإنسان بلا هوية .

[1]- صبري مسلم حمادي : أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 ، بيروت ، 1980،ص 16.

الفصل التمهيدي

التراث : المفهوم و الأهمية

1- التراث (لغة و اصطلاحا)

2- أنواع التراث (المكتوب ، الشفهي)

3- أشكال التراث الشعبي (الأسطورة،الحكاية الشعبية،

اللغز،المثل، النكتة)

4- أهمية التراث